الحياة السِّياسيَّة ومظاهر الحضارة الأندلسيَّة في عهد الأَمير المُنذر بن محمَّد الأُموي(٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م)

الاستاذ المساعد الدكتور
عامر أحمد عبدالله القُبَّج
كليَّة العلوم الإنسانيَّة /جامعة النَّجاح الوطنيَّة، نابلس، فلسطين

الملخص:-

تتناولُ هذه الدِّراسةُ الأوضاعَ السِّياسيَّةَ والحضاريَّةَ في الأندلس؛ خلال عهد الأمير المنذر بن محمَّد (٢٧٣-٢٧٥هـ/٨٨٦-٨٨٨م)، الَّذي يُمثِّلُ عهده محطَّةً مهمَّةً من محطَّات تاريخ عصر الإمارة الأمويَّة في الأندلس، ذلك أنَّ عهدَه القصيرَ يكادُ يختزلُ كثيراً من السِّمات العامَّة الَّتي عاشتْها البلاد في تلك الحِقبة، والَّتي شهدتْ خِلالها حالةً من التَّمزُّق والتَّشرذُم السِّياسيّ والجغرافيّ؛ بفعلِ حركات التَّمرُّد والعصيان في كلٍّ من طُليطلة، والثَّغر الأعلى، والغرب والجنوب الأندلسيَّين، بتشجيعٍ ودعمٍ من الممالك المسيحيَّة، وعلى الرَّغم من صِفات القُدرة والقوَّة والحزْم الَّتي تمتَّع بها المنذر؛ فإنَّ مدَّة حكمه القصيرة لم تُسعفهُ في تحقيق إنجازاتٍ لافتةٍ في مواجهة هذه الأخطار، فذهبت معظمُ جهوده الَّتي بذلها أدراجَ الرِّياح، ثمَّ دفعَ حياتَه ثمناً لها، ويعتقدُ البعضُ أنَّه لو طال عهدُه لتمكَّن من تغيير الكثير في ملامح الخريطة السِّياسيَّة في الأندلس. ولم تمنع الأحوالُ السِّياسيَّة المضطربة ظهورَ العديد من مآثره الحضاريَّة؛ وبخاصَّة ما تعلَّق منها بوُزرائه ورجال دولته ووُلاته وقُضاته، والعَمارة الدينيَّة والأدب والشِّعر في عهده.

كلمات دالَّة: الإمارة الأمويَّة - الأندلس - المنذر بن محمَّد - الحضارة الأندلسيَّة.

Andalusian Political and Cultural Life during the Reign of Umayyad Prince Al-Monthir Bin Muhammad (273-275 AH.\886-888 A.D)

Asst. Prof. Dr. Amer Ahmad Al-Qobbaj
Faculty of Humanities/ An-Najah National University, Nablus, Palestine

Abstract:

The main focus of this study is the political and cultural situations during the reign of Prince Al-Monthir Bin Muhammad (273-275H./886-888A.D), whose era represents an important station in the history of the Umayyad Emirate in Al-Andalus. His short reign almost dwarfs the general characteristics of the country at that time. In this era, the country experienced a political and geographical fragmentation: by rebel movements in Toledo, the Upper March, the West and the South of Al-Andalus; with encouragement and support of Christian Kingdoms. Despite the qualities of power, strength and firmness of Al-Monthir, his short reign did not enable him to achieve remarkable achievements in pushing these dangers away, so most of his efforts went in vain, then he paid his life as a price. Some believe that if his regime lasted long enough, he would have been able to create a big change in the features of the political map in Al-Andalus. Troubled political conditions did not prevent the emergence of many of his cultural exploits, especially with regards to his ministers, governors, judges and the religious architecture, literature and poetry during his reign.

Keywords: Umayyad Emirate, Al-Andalus, Al-Monthir Bin Muhammad, Andalusian Civilization.

المقدمة

لم تولِ الدِّراساتُ البحثيَّة الأندلسيَّة الأوضاعَ السِّياسيَّة والحضاريَّة في عهد الأمير المنذر بن محمَّد اهتماماً كافياً؛ نظراً لقِصر مُدَّته، ووقوعِها بين عهدين فسيحيْن زمنياً، ممَّا جعل بعضَ المؤرِّخين يقفزون عنها، وعدَّ آخرون الحياةَ السِّياسيَّةَ والحضاريَّةَ في عهده امتداداً لعهد أبيه الأمير محمَّد، وعتبةً للولوج في فترة أخيه الأمير عبد الله، فبدا بريقُ صورةِ عهدِهِ في الكتابات التَّاريخيَّة الحديثة خافتاً، ما جعل من الأهمِّيَّة بمكان استقصاءَ الإشارات القريبة والبعيدة -على الرَّغم من قِلَّتها- في المصادر التَّاريخيَّة حول هذا الموضوع، وهذا ما قصدَتهُ الدِّراسة؛ الَّتي استُهِلَّت بتوطئةٍ تعريفيَّة بالمنذر وأهمِّ المهامِّ التي اضطلعَ بها في عهد أبيه، ثمَّ تفاصيل ارتقائه إلى سُدَّة الحُكم، وملابسات تخلُّصه من حاجبه هاشم بن عبد العزيز، وتناولَت سياستَه تجاه المتمرِّدينَ في طليطلةَ والجنوب الأندلسيِّ، ثمَّ وقفَت بالتَّحليل على أسبابِ وفاته، واحتلَّت النَّواحي الحضاريَّة مساحةً لا بأس بها؛ فتناولَت الدِّراسةُ وزراءَه ورجالَ دولته، والأوضاع العمرانيَّة والقضائيَّة والأدبيَّة والشِّعريَّة في عهده، واختُتمت بالنَّتائج. واتَّبع البحث المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، إذ استقرأ المعلومات من مصادرها المختلفة، وحلَّلها، ووصف ما فيها، لتتساوق وعناوينه، واتَّكأ البحث على المنهج التاريخي الدَّاعم موضوعاته.

توطئة ..

يعدُّ الأميرُ المنذرُ بن محمَّد سادس حاكمٍ للأندلس في عصر الإمارة الأمويَّة(١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٦-٩٢٨م). ورثَ الحُكم عن أبيه وأجداده كابراً عن كابر، فقال عنه أبو محمَّد عليُّ ابنُ حزم[١]: "أعرق النَّاس في الخلافة أباً عن أَب"، ويتَّضح ذلك من تسلسُل نسبِه: المنذرُ بن محمَّد بن عبد الرَّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرَّحمن الدَّاخل، ويكنَّى أبا الحكم. أما أمُّه فأمُّ ولد تُسمَّى أَثْل[٢]، وضعَتهُ في قرطبة لسبعةِ أشهرٍ من الحمْل عام ٢٢٩هـ/٨٤٣م[٣]، وأمَّا صفاتُه الخَلْقيةُ فأسمرُ، طويلٌ، كثُّ اللحية، جَعْدُ الشَّعر، يخضِّب بالحنَّاء والكَتَم[٤]، وبوجهه أَثرُ جدَري[٥] عقَّب من الأبناء الذُّكور ستَّةً[٦]، وقيل: خمسةً، وأمَّا من الإناث فثمانية[٧].

ولعِبت البيئةُ السِّياسيَّةُ الَّتي عاش فيها في كنَف والده الأمير محمَّد بن عبد الرَّحمن الأوسط(٢٣٨-٢٧٣هـ/٨٥٢-٨٨٦م)[٨] دوراً كبيراً في صقْل معالم شخصيَّته، وكان الأميرُ قد اختصَّ عدداً من أبنائه ممَّن اتَّصفوا بالنَّجابة والشَّجاعة بالخروج معه في الغزوات تارة، وقيادة الحملات العسكريَّة بأنفسهم تارة أخرى، وأسند إلى بعضهم ولاية الكُوَر، وتبوَّأوا مواقع متقدِّمة في الحياة السِّياسيَّة والعسكريَّة، ومن أبرز هؤلاء ابنُه ووليُّ عهده المنذر، الَّذي آثره أبوهُ من بين أبنائه الثَّلاثة والثَّلاثين منذ صغر سنِّه، فأولاه ثقته وولاية عهده، واختاره لجلائل الأمور، وندبَه لقيادة الجيوش، فأبلى بلاءً حسناً في محاربة المتمرِّدين، وبخاصَّة المولَّدين[٩]، وفي جهاد الممالك المسيحيَّة[١٠] على حدٍ سواء، "فعظُم أمرُه واشتدَّت صولتُه"[١١]، وأضحى في الشَّطر الثَّاني من حكم والده الرَّجلَ الأوَّل على مسرح القيادة[١٢].

وتعود أولى مشاركات المنذر في الحملات الجهاديَّة إلى عام ٢٤٦هـ/٨٦٠م؛ وكان حينها في السَّابعة عشرة من عمره، وذلك عندما اصطحبه أبوهُ في حملة إلى مناطق ألبا والقلاع *Alava y Castilla*[١٣] وجبال مملكة بمبلونة[١٤]، وبعد ذلك قادَ ما يزيدُ على عشرِ حملات بنفسه، ومن أهمِّ الانتصارات الَّتي حقَّقها؛ ما تمخَّضتْ عنهُ نتائج موقعة فجِّ المركويز *Foz de la Morcuera* عام ٢٥١هـ/٨٦٥م، وموقعة أيْبار *Aybar* على أراضي بمبلونة عام ٢٦٩هـ/٨٨٢م، إلى جانب العديد من الحملات الأخرى، والَّتي لم تخلُ أيضاً من بعض النَّكسات، فأسهمت جهوده في منع المسيحيِّين من مدِّ حدودهم جنوب نهر دُويرة[١٥].

واضطلع المنذرُ بدورٍ نشطٍ في محاولات فرض سيادة الدَّولة على المناطق الَّتي شهدت حالات تمرُّد من جانب المولَّدين، ومن أجل هذا الغرض؛ قاد العديدَ من الحملات إلى مدينة سرقُسطة[١٦] والمدن المجاورة لمحاربة بني قَسِيّ[١٧]، الَّذين شقّوا عصا الطَّاعة ولم يتردَّدوا في التَّحالف مع الممالك المسيحيَّة ضدَّ قرطبة في كثيرٍ من الأحيان. وفي الوقت نفسه لم يتوقَّف مولَّدو مدينة طُليطلة[١٨] عن التمرُّد في وجه الدَّولة معظم أيّام الأمير محمَّد، وكان للمنذر دورٌ كبيرٌ في محاربتهم، منذ أنْ اصطحبه أبوه معه عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م لمواجهة تحالف مولَّديها مع المسيحيِّين، ولم يكن المنذر حينذاك يتجاوز الثَّانية عشرة من العُمر، وتمخَّض عن ذلك نصرٌ أندلسيٌّ مؤزَّر في موقعة وادي سليط[١٩]، وبعد عامين خرج

المنذر في حملةٍ أخرى. هذا إلى جانب جهوده في ملاحقة عبد الرَّحمن بن مروان الجُلَيقي(ت. ٢٧٦هـ/٨٨٩م)[٢٠]، بيدَ أنَّ تمرُّدات المولَّدين في الجنوب الأندلسيّ ودوره في مواجهتها تكتسبُ أهميَّةً كبيرة، وبخاصَّة إذا ما علمنا أنَّ المنيَّة قد داهمته خلال حصاره لهم في أواخر عهده.

فبعد مرور ما يقرب من سبعة وعشرين عاماً على بداية حكم الأمير محمَّد؛ ظهرت حركة تمرُّد جديدة في كورة ريَّة وسط أقاصي الجنوب الأندلسيّ، بزعامة عمر بن حفصون(ت. ٣٠٥هـ/٩١٧م)، سليلُ أسرة من المولَّدين القوط، ويتَّضح ذلك من تسلسُل نسبه: عمر بن حفص بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ذبيان بن فرغلوش بن إذفونش، وكان أوَّل من أسلم منهم جعفرُ، ففشا إسلامُه في عقْبِه، وسكنوا في أعمال رُندة بين إشبيلية ومالقة، وأمّا عمر فنشأ نشأةً قبيحةً، ثم لجأ إلى منطقةٍ جبليَّةٍ وعرةٍ بالقرب من جبل بُبَشتر[٢١]، وقام بمساعدةٍ من أحد أعمامِه بجمع أربعين رجلاً، وجعلهم تحت إمرته ليبدأ بالتمرُّد ضدَّ الدَّولة عام ٢٦٧هـ/٨٨١م[٢٢]. وأخذ ابن حفصون يُغير على كورة ريَّة تخريباً ونهباً، ثم يعتصمُ بأوكار جبل بُبَشتر، فجرَّد الأمير محمَّد ضدَّه حملاتٍ عديدة، باءت كلُّها بالفشل، مما اضطرَّه إلى مسالمته وإسكانه في قرطبة عام ٢٧٣هـ/٨٨٦م[٢٣]، وكان بإمكانه قتْله، ولكنَّه خشِي إنْ فعل ذلك أنْ يهُبَّ أتباعُه للأخْذ بثأره فيشتدُّ عودُ تمرُّدهم[٢٤]، ثمَّ ما لبث ابنُ حفصون أنْ هرب من قرطبة، وانضمَّ إلى صفوفه حارث بن حمدون من بني رفاعة الَّذي خلع الطَّاعة في مدينة الحامَة، الواقعة إلى الشَّمال الشَّرقي من مالقة، واجتمع المتمرِّدان على رأس أنصارهما فيها، فوجَّه لهما الأميرُ ابنَه المنذر، الَّذي حاصر المدينةَ لمدَّة شهرين، ولما قرُبت مؤنُها على النَّفاد؛ خرج ابنُ حفصون وحليفُه، واشتبكا مع المنذر في معركةٍ عنيفةٍ هُزم فيها الثَّائران، وأُصيب ابنُ حفصون بجُروح، ممّا اضطرَّه للعودة ثانيةً للتَّحصُّن في الحامة[٢٥]. وبينما كان المنذرُ مقيماً على حصاره؛ جاءته الأنباءُ من قرطبة بوفاة أبيه في التَّاسع والعشرين من صفر ٢٧٣هـ/الرَّابع من أغسطس٨٨٦م، فرفع الحصارَ وقفل عائداً إلى العاصمة، للوقوف على مراسيم الدَّفن وتسلُّم المسؤوليَّات الدُّستوريَّة[٢٦].

المبحث الأول: الحياة السياسية في عهد المنذر بن محمد

ارتقاءُ المنذر إلى سُدَّة الإمارة الأمويَّة: أفادت المصادرُ التاريخيَّةُ أنَّ الأميرَ المنذر كان يقوم بمهامّه في عهد أبيه كوليّ عهد، وهذا ما أشار إليه ابن القوطيَّة[٢٧]؛ فخلال حديثه عن حملته ضدَّ الممالك المسيحيَّة عام ٢٦٢هـ/٨٧٦م، قال: "وخرج الأميرُ المنذرُ، وهو وليُّ عهد". غيْر أنَّ بعض الرِّوايات المسيحيَّة تشير أنَّه أصبح وليّاً للعهد في عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م، وذلك عندما جمع الأمير محمَّد أهلَ بيته والوزراء والقادة العسكريّين، وأعلنه خليفةً له، فأقسم الجميع على السَّمع والطَّاعة[٢٨]، وعلى الرَّغم من افتقار التَّاريخ الأخير للدقَّة؛ فإنَّ ما يهمُّنا من الرِّواية الَّتي تضمَّنته أنَّ عقد البيعة للمنذر كان قد استوفى شروطه، ويُستدلُّ على ذلك ممّا جاء لدى صاحب الأحكام السُّلطانيَّة[٢٩] حول هذا الباب. كما أوصى الأميرُ محمَّد بولاية العهد من بعده لابنهِ عبد الله[٣٠]، مع أنَّه أسنُّ من المنذر[٣١]. وممَّا يؤكِّد صحَّة ولاية عهده المُسبقة: أنَّه لمّا بلغه خبر وفاة أبيه وهو محاصرٌ لابن حفصون في الحامة؛ بات يشعُر أنَّه الحاكم الفعليّ للبلاد، وأنَّ من واجبه القيام بمسؤوليّاته وممارسة صلاحيَّاته حتَّى في أدقِّ الظُّروف وأصعبها، فعرَّج في طريق عودته إلى قرطبة على كورة ريَّة، فأصلح شؤونَها، وولَّى عليها وُلاةً من طرفه[٣٢]، وفضلاً عن هذا كلَّه: فبعد وفاة الأمير محمَّد لم يدَّعِ أحدٌ الحقَّ في الخلافة، ولم ينافس المنذرَ عليها أحدٌ، وسارت عمليَّة انتقال السُّلطة بسلاسة كما سيتَّضح لاحقاً.

وما أن وصل الأميرُ المنذر إلى قرطبة يوم الأحد في الثَّالث من ربيع الأوَّل ٢٧٣هـ/السَّابع من أغسطس ٨٨٦م؛ حتَّى استقبلهُ أهلُ الحضرة بالدُّعاء، وهم يلبسون الأردية والبياضَ، وِفقَ ما جرَتْ عليه عادةُ أهل الأندلس؛ تعبيراً عن حزنهم على الأمير الرَّاحل، وكلَّما قابل جمعاً منهم؛ وقف مقابلاً لهم متواضعاً سامعاً حتَّى ينقضي الدُّعاء، فيسيرُ عنهم إلى جمْعٍ آخرَ حتَّى دخل القصر[٣٣]، فأدرك أباه وصلَّى عليه وأمر بدفنه. وبعد أن انتهت إجراءات الدَّفن؛ بدأتْ في اليوم نفسه مراسيم مبايعته البيعة الخاصَّة، واستغرقت بقيَّة ذلك اليوم، والَّذي تلاه[٣٤]، واختلفت المصادر التَّاريخيَّة في تحديد اليوم الَّذي بويعَ فيه، ويبدو أنَّ سببَ ذلك يعودُ إلى تباين الآراء في تحديد تاريخ وفاة الأمير محمَّد أولاً؛ وفي اليوم الَّذي

وصل فيه المنذر إلى العاصمة ثانياً، فقيل: بويع بعد ثلاثة أيَّام من وفاة أبيه، أي في السَّادس من ربيع الأوَّل/العاشر من أغسطس[٣٥]، وقيل: في الثَّامن من ربيع الأوَّل/الثَّاني عشر من أغسطس[٣٦]، وأفادت إحدى الرِّوايات المسيحيَّة أنَّه بويع في التَّاسع من ربيع الأوَّل/الثَّالث عشر من أغسطس[٣٧]، وكان سنُّه حينذاك أربعة وأربعون عاماً وسبعة عشر يوماً[٣٨].

وحوْلَ هيئته حين بويع؛ قيل أنَّه نزل في السَّطح بقصر قرطبة وقعد للبيعة في ثياب سَفره، وربَّما اتَّكأ على فراشه بسبب التَّعب، فلمّا دخل المبايِعون قام الوزيرُ هاشم بن عبد العزيز(ت. ٢٧٣هـ/٨٨٦م) وبيده كتابُ البيعة، فافتتح قراءته، فلمَّا بلغ إلى ذِكر الأمير محمَّدٍ خنقَتْهُ العَبْرَةُ، فلم يبِن كلامُه، ثم استدرك أمرَه ورجع من أوَّل الكتاب، حتَّى إذا انتهى إلى الموضع الَّذي انتهى عليه أوَّلاً أخذه الحَصْر، فلَحظَهُ المنذر لحظةً مُنكرة، ورآها منه هاشم، فمضى في قراءة الكتاب حتى أكمله، فلم يشكُّ كلُّ من رآى تلك اللَّحظة أنَّه سيقتله[٣٩]، ولوحظ أنَّ المصادر التَّاريخيَّة صمتت عن ذكر الإجراءات البروتوكوليَّة الَّتي عادة ما كانت تُتَّخذ في ذلك العصر عند مبايعة الأمير الجديد[٤٠]، كما أغفلَت ذكرَ من حضر البيعة، ولم يرِد فيها أيُّ دورٍ للأمير عبد الله وليِّ عهد المنذر أو أيّ من أبناء الأخير، ولا يوجد ما يفيد بحصول البيعة العامَّة، ويبدو أنَّ استقبال النَّاس له لمّا وصل إلى الحضرة شكَّل استفتاءً على شرعيَّة ارتقائه إلى سُدَّة الحُكم، فاستُعيض به عن البيعة العامَّة. وما أنْ تمَّت لهُ البيعةُ حتَّى قرَّر السَّير على سُنَّة أبيه وأمراء بني أميَّة في الأندلس مِن قبله، فأخرج الأموال وفرَّق العطايا على النَّاس حسب مراتبهم وأقدارهم، وأسقط عنهم عشور ذلك العام، وأعطى للجند عطائين، وسرَّح السُّجون؛ تحبُّباً إلى الرعيَّة وكسباً لولائها، وتوطيداً للملك، ومن أجل التمكُّن من مواجهة حركات التَّمرد، وما نتج عنها من قيام كلِّ فريقٍ بالاستقلال بما في حوزته من البلاد، ومن الإجراءات الَّتي اتَّخذها المنذر عقب توليته؛ قيامه بهدم الزِّيادات الَّتي زادها أهلُ الذِّمَّة في الكنائس والبِيَع، وفرَض الجزيةَ عليهم[٤١].

نكبة الوزير هاشم بن عبد العزيز: عُدَّ أبو خالد: هاشم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد من أبرز رجالات الدَّولة الأمويَّة بالأندلس، ومن أهمِّ وزراء الأمير محمَّد وقادته العسكريّين؛ وأكثرُهم تأثيراً في الحياة المدنيَّة والعسكريَّة، بسبب الخِصال الَّتي اجتمعت فيه؛ كالبأس والجود والفروسيَّة، والكتابة والبيان والبلاغة وقرض الأشعار، وفوق ذلك كلّه كان محبوباً لدى العامَّة والخاصَّة[٤٢]، فأصبح في عهد الأمير محمَّد "النَّاهضُ بأعباء الخلافة، والمتصرِّفُ في وجوه النَّظر، والمستولي على أسباب التَّدبير"[٤٣]، وآثره الأمير في الوزارة، ورشَّحه مع بنيه للقيادة والإمارة، وولّاه كورة جيّان[٤٤]، ووصفه ابنُ الخطيب[٤٥] أنَّه "من رجال الكمال، ومفخر دولة بني أميَّة وزينة مُلكهم بالأندلس، وقلَّ أنْ تأتي الدُّنيا بمثله من اجتماع خِصاله". وعدَّتْهُ الممالكُ المسيحيَّةُ من أكبر الفرسانِ النُّبلاءِ وأشجعِهم، وأشدِّهم خطراً عليها[٤٦]. وكان هاشم بن عبد العزيز لا يزال الوزير الأوَّل في الدَّولة لما تولَّى المنذر الحُكم، وعلى الرَّغم من إبقائه في أيّام عهده الأولى على التَّشكيلة الوزاريَّة والقضائيَّة والإداريَّة الَّتي كانت سائدة زمن أبيه، وفاءً لذِكراه؛ فإنَّه على ما يبدو لم يكن راضياً كلَّ الرِّضا عن شُخوصها، فخطَّط لانتهاج مسارٍ جديدٍ يضمنُ له وضعاً داخليّاً مستقرّاً وسيادةً كاملة، بعيداً عن تأثير مراكز القوى المتنفِّذة داخل الدَّولة، ولعلَّ من مؤشِّرات هذه السِّياسة؛ الإجراءات الأوليَّة السَّريعة الَّتي قام بها خلال طريق عودته من الحامة. وبعد أن تولَّى الحُكم؛ يبدو أنَّه تعمَّد التلكُّؤ في إجراء بعض التَّعديلات في المناصب الحكوميَّة، خوفاً من القلاقل الداخليَّة، وبخاصَّة ما يتعلَّق بأمر هاشم بن عبد العزيز، بسبب نفوذه الكبير، ولمّا تمَّ له الأمرُ وتوطَّدت دعائم حُكمه؛ أقدم على حبْسه وقتْله.

وتعدَّدت الأسبابُ الَّتي قادت المنذر إلى الإيقاع به؛ ومن المؤرِّخين من عزا ذلك إلى سطوته على أبيه واستئثاره بالقرارات، ممّا أفسده وجعله يختارُ عُمّالَه ممَّن تنقصهم الخبرة، وليس من الشُّيوخ الثِّقات، مما أدَّى إلى شيوع الفتن والفساد في البلاد[٤٧]. وأمعن ابنُ سعيدٍ[٤٨] في ذمِّ الوزير، فذكر أنه كان "تيّاهاً، مُعجَباً، كثيرَ الاعتماد على ما يُحقد به قلوب العباد، حتى ملأ الصدور من بُغضه". وأما ابن الأبّار[٤٩] فذكر أنَّ تصرُّف المنذر تجاه هاشم كان "لأشياءَ حقَدها عليه في خلافة أبيه محمَّد، إذ كان يُخرجه معه قائداً للجيش،

وبعد ذلك". ولكنَّه لم يوضِّح ماهيَّة هذه "الأشياء" وطبيعتها. ويبدو بالفعل أنَّ العلاقات بين المنذر وهاشم قد ازدادت سوءاً خلال الحملة الَّتي قاداها ضدَّ متمرِّدي الشَّمال والممالك المسيحيَّة في عام ٢٦٨هـ/٨٨٢م[٥٠]، وقد يكون ذلك بسبب خلافات على صلاحيَّات كلٍّ منهما في قيادة الجيش، مما ولَّد الحقد والضغينة في نفس المنذر، ولم يكنْ باستطاعته حينذاك اتِّخاذ أيَّ إجراءٍ عقابيٍّ بحقِّه خوفاً من بطشه، وبسبب المنزلة الرَّفيعة الَّتي بلغها في عهد أبيه، وعلى الرَّغم من أنَّ هذه الأسباب قد شكَّلت أرضيَّةً للمسوِّغات الَّتي أفضت إلى الإيقاع بهاشم؛ فإنَّه لا يمكن فصلها عن أسباب جوهريَّة أُخرى كما سنرى.

ومن المؤكَّد أنَّ التَّنافس الَّذي ساد بين الوزراء ورجالات الدَّولة في عهد الأمير محمَّد قد انتقل إلى عهد ابنه المنذر، ويبدو أنَّ الأخير قد نوى الصَّفح عن ذنوب هاشم في مطلع ولايته، فأظهر الرِّضا منه، وولّاه حجابته، وهي أعلى مرتبة في الدَّولة بعد الأمير، ولكنَّ منافسيه ما لبثوا أنْ أوغروا صدره عليه بوشاياتهم وسعاياتهم فيه، قال ابن القوطيَّة[٥١]: "ثمَّ بلغهُ عنْهُ ما جدَّد عليه سوءَ الرأي فيه، فسطا بهِ السَّطوة المعروفة". وأضاف أنَّ من أبرز هؤلاء الوُشاة المحرِّضين؛ محمَّد بن عبد الملك بن جهور بن يوسف بن بُخت الفارسي(ت. ٢٧٣هـ/٨٨٦م)، الذي سيأتي ذكره لاحقاً. ومنهم أيضاً: أبو مروان، عبد الملك بن عبد الله بن محمَّد بن أميَّة بن أبي حوْثرة(ت. ٢٨٢هـ/٨٩٥م)، وترجع هذه العداوةُ إلى أوَّل ولايةِ أبي مروان الكتابة العليا للأمير محمَّد، وكان غيرَ مؤهَّلٍ لهذه الوظيفة، فهاجمه هاشم وانتقده غير مرّة في حضرة الأمير، فاشتدَّت العداوةُ بينهما، ولكنَّ الغلَبة ظلَّت لهاشم، فلمّا ولِّي المنذر؛ بالغ عبد الملك في التَّحريض ضدَّه[٥٢]، واستعان على ذلك بالسَّيدة أخت المنذر، نظراً لمكانتها العالية عند أخيها، وممّا كان له أكبر الأثر في إيغار صدر المنذر عليه؛ اتِّهامه من جانب منافسيه بتزوير الكُتب الرَّسميَّة وتوقيعها باسمه[٥٣]، فضلاً عن قيامهم بتحريف الكلام على لسانه "وتأوَّلوا عليه أقبح التأويل"، ممّا جعل الأمير يزداد حقداً عليه[٥٤]، وقيل أنَّ أحد أبناء هاشم كان يعمل عيناً عليه، ويزوِّد المنذر على الدَّوام بجميع أخباره وأسراره[٥٥]، ولم تكشف المصادر عن هويَّته.

وكان هاشم يدركُ أنَّ خصومَه يكثرون من السِّعاية في حقِّه؛ إلّا أنَّه لم يكترث، ويبدو أنَّ الشَّعرة الَّتي قصمت ظهر البعير؛ الافتراءات الَّتي اختلقها حُسَّاده بتأويل أبيات الشِّعر الَّتي قالها خلال مراسيم دفن الأمير محمَّد، حيث أنَّهُ لما وُضع نعشُه في قبره؛ ألقى هاشم رداءَه وقلنسوتَه ودخل القبر وبكى، ثمَّ قال[٥٦]:

أُعزّي يا محمَّد عنك نفسي أمينَ الله ذا المنن الجِسام

فهلّا مات قومٌ لم يموتوا ودوفِع عنك لي كأس الحُمام

فأدخلوا في روْع الأمير المنذر أنَّه إنَّما يقصده في قوله "فهلّا مات قومٌ لم يموتوا".

وبناءً على ما ذُكر؛ أصدر المنذرُ تعليماته بالقبض على هاشم في جمادى الأولى من عام ٢٧٣هـ/أكتوبر ٨٨٦م، أي بعد شهور قلائل من ولايته[٥٧]، وقيل في الرَّابع من شوَّال عام ٢٧٣هـ/الثَّالث من مارس ٨٨٧م[٥٨]، ويومئذٍ أقبل صاحبُ الرَّسائل، وإذا بهاشم خارجٌ من بيته ومعه ابنُه عمر، وبيده كتبٌ، فقبضها منه واستحثَّه على القدوم إلى قصر قرطبة[٥٩]، وقيل أنَّ هذه الكتب كانت رسائلَ قادمةً إلى القصر تنْبئ المنذرَ بتحرّكات عمر بن حفصون[٦٠]، وفي الوقت الَّذي أتاه صاحب الرَّسائل؛ كانت رحْبة داره تغصُّ بقومٍ من أهل مدينة لبلة[٦١]؛ أتوا لشُكر ابن أخيه، وكان عاملهم عليها، فلمَّا رأوا هاشم اندفعوا مستهلّين بالشُّكر، فانتهرهم صاحبُ الرَّسائل وأغلظ لهم، وقال: يا كذَبَة"، فاربدَّ وجهُ هاشم، ومضى نحو قصر الإمارة راكباً فرساً شقراء، فلمَّا أتى عند باب الجنان؛ أحد الأبواب الجنوبيَّة الخلفيَّة، كبا الفرسُ به، ثم اعتدل وقد امتقع لونه، ثم تقدَّم ودخل[٦٢]. وعندما وقف هاشم بين يدي المنذر ذكَّره "بما أسلفه من ذنوبه الموبقة"[٦٣]، وقال له: أنتَ الَّذي أشرْتَ عليَّ وساعدتَ العاصي على معصيته وخيانته، ولا بدَّ من قتْلك حتَّى تكونَ عبرةً لغيرك[٦٤]، ثم خرج مكبَّلاً بالحديد وأودع السِّجن[٦٥]، فعمَّ الحزنُ الشَّديدُ أهل قرطبة، ولم تخلُ دارٌ بها مِن بُكاءٍ عليه يوم حُبِس[٦٦]، وتروي المصادرُ شِعراً كتبه من سجنه إلى صديقه الوزير وليد بن عبد الرَّحمن بن عبد الحميد بن غانم(ت. ٢٩٢هـ/٩٠٥م)[٦٧]، وقصيدةً إلى جاريته عاجٍ يشير فيها أنَّ أصحابَه نصحوه بالهرب، ولكنَّه فضَّل مواجهةَ مصيره على أن تلحق بهِ مذلَّةُ الفرار[٦٨].

ولم يطُل مقام هاشم في سجنه؛ إذ بعث إليه الأميرُ من يقتله ليلاً[٦٩]، وقيل أنَّه سيقَ إلى أحد قصوره الَّتي شيَّدها، وضُرب عنقُه فيه[٧٠]، وذلك في جمادى الأولى من ٢٧٣هـ/أكتوبر ٨٨٦م[٧١]، وفي قول آخر: في السَّابع والعشرين من شوّال ٢٧٣هـ/السّادس والعشرين من مارس ٨٨٧م، ثم أُخرِج صباحاً وقد غُطِّيت جثَّتُه بثوبٍ، وبُعث بها إلى أهله، وهُدمت دارُه وانتُهبت أموالُه[٧٢]، وأثار إعدامُه موجةً من السُّخط والحُزن في أوساط القادة العسكريّين في أنحاء الأندلس لشجاعته وإخلاصه للدَّولة[٧٣]. وأما أبناء هاشم وحاشيته؛ فقد أودعوا السِّجن، ومنهم عمر بن هاشم وأخيه أحمد، وألزمهم المنذرُ مغرَماً قدْره مائتي ألف دينار، وطال الحبسُ أيضاً كاتبَ الوزير المغدور سعيد بن سليمان، وصهره مطرِّف بن الرَّبيع. وعندما كان المنذر محاصِراً لابن حفصون في الحملة الَّتي مات فيها؛ أصدر أوامره إلى حفص بن بسيل صاحب المدينة بإخراجهم من السِّجن "وحمْلهم على الخُشب وصلْبهم، ليدخلَ وتقعُ عينُه عليهم في يومٍ حُدِّد له دخوله فيه". ولكنَّ الأمر لم يُنفَّذ بسبب موته، وعلى الفور كتب الأميرُ عبد الله من مكانه ببُبشتر إلى صاحب المدينة يأمره بإطلاقهم، وإيداعهم عند باب السُّدَّة من القصر إلى أنْ يقدِم، ولمَّا عاد إلى قرطبة أميراً للبلاد؛ منحهم مناصب رفيعة في الدَّولة[٧٤].

سياسة المنذر تجاه متمرّدي طُليطلة والجنوب الأندلسيّ: من المعلوم أنَّ المنذر تسلَّم الحكم والبلادُ تعجُّ بالثَّورات، ووصف ذلك ابنُ سعيدٍ[٧٥] بقوله: "خُرقت الهيبةُ، وزال سِترُ الحُرمة، واستقبل المنذرُ نيرانَ الفتنة" في جميع أنحاء البلاد. ولم يكد يفرغ من ترتيب شؤون المُلك حتَّى شمَّر عن ساعد الجِدِّ لمحاربة المتمرّدين معتمداً على جيشه، وعلى كبار قادته العسكريّين الَّذين بلغ عددُهم سبعة[٧٦]. ومن المواقع المتمرّدة الَّتي اتَّجهت أنظار المنذر إليها؛ مدينةُ طُليطلة، الشَّهيرة بثوراتها ضدَّ الدَّولة، لأسباب كثيرة أهمُّها كثافة العنصر المولَّدي فيها، بتحريضٍ من المُستعربين[٧٧]، ويبدو أنَّ أهلَها كانوا على الطَّاعة يوم تولَّى المنذرُ الحُكم، وما يدعو إلى هذا الاعتقاد؛ الرِّواية الَّتي انفرد بذكرها ابنُ عبد ربّه[٧٨] الَّذي عاصر هذه الأحداث، ومفادها أنَّه بعد تمام البيعة للمنذر؛ بعث إليه أهلُ طليطلة بجباياتهم كاملة فردَّها إليهم، وقال: استعينوا بها في حربكم، فأنا سائر إليكم إن شاء الله.

ثمَّ ما لبثت أعناقُهم أن اشرأبَّت نحو التمرُّد، مستغلِّين حداثةَ عهده بالإمارة وحسنَ نواياهُ تجاههم، ولعلَّ ذلك مردُّه إلى قيام بربر تُرجيلَة[٧٩] بتحريض أهلها على العصيان، وكان هؤلاء قبل ذلك قد تمرَّدوا، وعندما حاربتهم الدَّولة؛ فرُّوا هاربين إلى طليطلة، فجرَّد المنذرُ إليها حملةً ضخمة، ممّا أدّى إلى مقتل الآلاف من أهلها وإلحاق الهزيمة بهم[٨٠].

ويبدو أنَّ الأمير كان ينوي الاستمرار بالقيام بدوره النَّشط الَّذي لطالما اضطلع به في جهاد الممالك المسيحيَّة، للجْمها عن محاولات التَّوسُّع، وربَّما كان ينوي استرداد المدن الأندلسيَّة، في وقت كان فيه المسيحيّون يرون فيه مصدرَ خطرٍ مرعب، وعبَّر الملك الفونسو الثَّالث *Alfonso III* (٨٦٦-٩١٠م/٢٥٢-٢٩٨هـ)[٨١] عن شعوره بالقلق عندما علم بتولية المنذر، وخشيَ أن يقومَ بخرقِ الهُدنة الَّتي كانت لا تزال سارية بين الطَّرفين، وهذا ما حدث بالفعل[٨٢]. وتذكر المصادرُ التَّاريخيَّة أنَّه أصدر تعليماته لمحمَّد بن لب (ت. ٢٩٤هـ/٨٩٨م)[٨٣] بغزو أراضي الممالك المسيحيَّة، فغزا ألبا والقلاع وحقَّق العديد من الانتصارات[٨٤]، وعلى الصَّعيد نفسه؛ فبعد وفاة الأمير محمَّد؛ تجدَّدت غاراتُ البحريّين الأندلسيِّين على السَّواحل الجنوبيَّة الفرنجيَّة في عهد ولديه المنذر وعبد الله، واستطاع المجاهدون في عام ٢٧٥هـ/٨٨٨م أن يؤسِّسوا معقَلاً إسلاميَّاً على قمَّة أحد الجبال المرتفعة في خليج سان تروبيه *Saint Tropez* المتوسطيّ، وسمِّيت الغابةُ الَّتي أحاطت بالمعقل بغابة المسلمين[٨٥]، ما يبعثُ على الاعتقاد أنَّ بعضاً من هذه الغارات قد حدث في زمن المنذر.

غير أنَّ أعظم ما كان يُشغل المنذر حرصُه على متابعة جهود والده في محاربة المتمرِّد عمر بن حفصون في الجنوب، ولا يعني ذلك أنَّ حركات التمرُّد قد اقتصرت على طليطلة والجنوب، بل كانت مندلعةً في معظم أنحاء البلاد، ولكنَّ المصادر المتوفِّرة لدينا اكتفت بالتَّركيز على ثورة الجنوب زمن المنذر، ويبدو أنَّ ذلك مردُّه إلى أنَّها كانت بالفعل الجهة الَّتي أهمَّتْه أكثر من غيرها، إذ ارتبطت بابن حفصون الَّذي كان المنذرُ قد وقف بنفسه على ما يشكِّله من خطورة؛ وقد كان يحاربه في الأيَّام الأخيرة من عهد والده[٨٦]. ولم يكن ابن حفصون ثائراً عاديَّاً يسهُل القضاء عليه، وإنَّما كان صعبَ المِراس قويَّ التَّأثير في

أتباعه[٨٧]، وكان قد اشتدَّ بأسُه وقويت شوكتُه بُعيْد وفاة الأمير محمَّد وانصراف المنذر عن حصاره، ونجح في استمالة قلوب النَّاس في البلدات الجنوبيَّة التَّابعة لكورة ريَّة، والمُمتدَّة من قلعة بُبشتر حتَّى السّاحل؛ بقوله: "طالما عنَّف عليكم السَّلطانُ، وانتزع أموالَكم، وحمَّلكم فوق طاقتكم، وأذلَّكم العربُ، واستعبدَتْكم، وإنَّما أريد أن أقوم بثأركم وأُخرجكم من عبوديَّتكم"، وانضمَّ إلى صفوفه شُطّار الناس وشرارهم، ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتَّى تمكَّن من فرض سلطانه على معظم حصون وقواعد كورة ريَّة، كالحامة، ورُنده، وأستجة[٨٨]، وأرشُذونة[٨٩]، ومالَقَة[٩٠]، مؤمِّلاً الاستفادة من انفتاحه على البحر في صراعه مع الإمارة الأمويَّة. ثمَّ هاجم بلدة باغُه[٩١]، وأسر حاكمَها عبدَ الله بن سمَاعة، وعاث في أحواز جبل شيْبة[٩٢]، فأخذ من الأموال ما لا يوصف، وبلغ في زحفه شمالاً وشرقاً، فاستولى على قَبرة جنوب غرب قرطبة، ممّا جعل العاصمة نفسها في دائرة الخطر، وفي حصن آشَر القريب من قبرة انضمَّ إلى صفوفه جمعٌ غفيرٌ من الأشرار، ممَّا مكَّنه من كثيرٍ من القرى والحصون في منطقة إلبيرة[٩٣] وجيَّان[٩٤].

ويتبيَّن ممَّا ذُكر أنَّه صار لابن حفصون دولةٌ داخل الدَّولة، وخاصَّة بعد أن اتَّسعت رقعة نفوذه وكثُر أتباعه واستفحل خطرُه، فاستشعر المنذرُ ذلك، ووضع خطَّةً محكمةً لعزله عن محيطه وإرهاقه وإضعافه عسكريّاً وبشريّاً وتموينيّاً، فعزم على ضرب أشياعه الَّذين كانوا يمثِّلون حائط صدٍّ منيعٍ في وجه جيوش الدَّولة، وذلك من خلال ممارسة حرب الاستنزاف وتوجيه السَّرايا المتتابعة ضدَّ حصونه وممتلكاته، تمهيداً لخوض المعركة الفاصلة معه، وبناء عليه؛ أرسل المنذر قوَّة كبيرة من الفرسان بقيادة أصبغ بن فُطَيس إلى حصن آشر؛ فافتتحه وقتل حاميته، ثم أخرج أيدون الفتى[٩٥] على رأس قوَّةٍ أخرى إلى ناحية لُجَّانة (أليسانة) القريبة من قَبرة؛ وكان بها مسْلحةٌ لابن حفصون؛ فنازلوهم وقاتلوهم حتى أفنوهم، وبذلك تمَّت استعادة قَبرة[٩٦].

ولكنَّ النَّتائج المذكورة لم تكن كافية، رغم إيجابيّاتها، فقرَّر المنذر على الفور القيام بعمليَّةٍ أوسع؛ ففي ربيع عام ٢٧٤هـ/٨٨٧م أعدَّ العدَّة وخرج على رأس قوَّاته للاستيلاء على الحصون المتمرِّدة ومحاصرة ابن حفصون في ببشتر، فتوجَّه أوَّلاً إلى أرشُذونة

لإخضاع أهلها الَّذين كان يتزعَّمهم المولَّدي عيشون؛ باسمِ ابن حفصون، وحاصرها مضيِّقاً على أهلها، إلى أن نبذوا عيشوناً وأهلَه، فقبضوا عليه وسلَّموه للمنذر، وسرعان ما استسلمت المدينة، وتبعتها قصبتُها، وكان الأمير قد دسَّ إلى رجلٍ من أهل أرشُذونة بأن يتحيَّل في أخذ عيشون، وفي أحد الأيَّام، دخل بيتاً بغير سلاح، وقد استعدَّ له الرَّجلُ بحبْل؛ فأوثقه وبعث به إلى الأمير، وواصل المنذر انتصاراته وفتوحاته، فافتتح حصون جبل باغُه وأسر قادتها من بني مطروح[٩٧] حلفاء ابن حفصون، وعلى رأسهم حرب وعون وطالوت؛ واثنين وعشرين رجلاً بعث بهم جميعاً إلى قرطبة حيث قُتلوا صلباً، وأمّا عيشون فصُلب معه كلبٌ وخنزيرٌ إمعاناً في التَّمثيل، وكان السَّبب في ذلك أنَّ عيشوناً كان يقول: إذا ظفر بي، فليصلبني وليصلب عن يميني خنزيراً وعن يساري كلباً، وكان يثق بنفسه في القتال ثقة شديدة، ويأمنُ من أن يُؤخذ لشدَّته وشجاعته[٩٨].

وبعد نجاح المنذر في القضاء على الكثير من أعوان ابن حفصون وأنصاره، وبعد أن استعاد المراكز الحيويَّة الَّتي كانت تحول بينه وبين قلعة بُبشتر؛ توجَّه إليها على رأس جيشه ونشر قوّاتَه في محيطها، وشدَّد الحصار عليها، وأتلف ما حولها من زروع وثمار، وقطع عنها الاتصال مع الخارج[٩٩]. ولما ضاق ابن حفصون ذَرعاً بالحصار ونفدت مؤونتُه، ورأى تصميم المنذر على فتح الحصن مهما كلَّف الثَّمن؛ لجأ إلى الخديعة والمكر، فأظهر الإنابة والطّاعة، وطلب الصُّلح، على أن يسير بأهله وولده إلى قرطبة، وأنْ يكون عند المنذر من خاصَّة جنده، فانطلت الحيلةُ على الأمير، وأجابه على طلبه، ورفع الحصار عنه، وأمَّنه على نفسه وأهله، وعكفت عددٌ من القضاة والفقهاء على إتمام الصُّلح وتوثيق شروطه، وبالغ الأميرُ في إكرامه؛ فأمدَّه بالثِّياب والدَّواب والمؤن، ثم طلب ابنُ حفصون مائةَ بغلٍ ليحمل عليها أمتعته وعياله من ببشتر إلى قرطبة، فزوَّده بها، وجعل على البغال عشرةً من العُرفاء[١٠٠] على رأس مائة وخمسين فارساً إتماماً للإكرام، ومن ثمَّ بدأ المنذرُ بالقفول إلى قرطبة ومعه ابن حفصون، ولكنَّ الأخير ما لبث أن فرَّ من الجيش تحت جُنح الظَّلام، ولقي العُرفاء بالبغال فقتلهم وأخذها، وعاد إلى حصن بُبشتر بعد أن تقوَّى بما حصل عليه من الأقوات والدَّواب، فاستشاط المنذر غضباً، واعتبر ذلك إهانةً

له وللدَّولة، وأقسم ألّا يبرحه أو يصالحه حتى يقضي على ثورته، فدعا قوَّاته من جديدٍ بعد أنْ بدأت بالتفرُّق، وارتدَّ راجعاً إلى قلعة بُبشتر، وضرب الحصار حولها مرَّة أخرى[١٠١].

وفاة المنذر، وفك الحصار عن بُبشتر: استمرَّ حصارُ المنذر لقلعة بُبشتر ثلاثة وأربعين يوماً، إلى أنْ بات فتحُها قاب قوسيْن أو أدنى، لولا المرض الَّذي ألمَّ به، وفي الحال بعثَ في طلب أخيه عبد الله لينوب عنه في مواصلة الحصار، فقدِم إليه[١٠٢]، وبينما أخوه قاعدٌ في قبَّته إذ دخل عليه الفِتيان، فقالوا له: أجِب الأمير، فأتى ودخل السَّرادق على أخيه فوجده ميتاً، فترحّم عليه وجلس مكانه[١٠٣]، "وصار (المنذرُ) عند النَّاس أهونَ مفقود وأيسرَ هالك، إذ كان قد اضطرَّهم في ذلك المقام، وندبهم إلى الثَّبات هنالك والمقام"[١٠٤] واختلفت الرِّوايات في تحديد تاريخ وفاته، فقيل: يوم الأحد السَّابع عشر من صفر ٢٧٥هـ/الثَّلاثين من يونيو ٨٨٨م[١٠٥]، وفي رواية أخرى: يوم الجمعة الخامس عشر من صفر ٢٧٥هـ/الثَّامن والعشرين من يونيو ٨٨٨م[١٠٦]، وقيل أيضاً: في المحرَّم من ٢٧٥هـ/مايو ٨٨٨م[١٠٧]، وأخيراً يوم الخميس السَّابع من صفر ٢٧٥هـ/العشرين من يونيو ٨٨٨م[١٠٨]، ومن الصَّعب الوقوف على التَّاريخ الدَّقيق لوفاته، إلّا أنَّه يمكن التَّرجيح أنها كانت ما بين الخامس عشر والسّابع عشر من صفر. وكان له من العمر لمَّا مات ستَّة وأربعون عاماً[١٠٩]، ويتبيَّن لنا صحَّة ذلك إذا ما علمنا أنه وُلد عام ٢٢٩هـ/٨٤٤م، وأمّا مُدَّة ولايته فامتدَّت لسنة واحدة وأحدَ عشر شهراً، وعشرة أيام أو اثنا عشر أو ثلاثة عشر يوماً[١١٠].

وبعد أن تيقَّن الأمير عبد الله من موت أخيه؛ سارع إلى جمع قادة الأجناد ومَن حضر مِن الوزراء والقرشيّين والموالي، ودعاهم لمبايعته فبايعوه[١١١]، وبذل ما في وُسعِه طوال ثلاثة أيامٍ لإخفاء خبر الوفاة عن الجند، لأنَّهم إن علموا سيتفرَّقون من حوله، ولكنَّه لم يستطع[١١٢]. وما أنْ علم النَّاسُ حتى خرجت الحشود من الكوَر، وطلبوا منه دفنه في نواحي بُبشتر ومواصلة الحصار، فرفضَ وأصرَّ على رفْع الحصار وحمْله معه ليدفنه إلى جانب أبيه وأجداده في قصر قرطبة[١١٣]، وقال: "لو علمتُ أنَّ المنيَّة تخترمُني دونهُ ما خلَّفت رِمّة أخي وأميري موطئاً لأقدام أهل الشِّرك والخلعان، ومحلِّ أهل النَّواقيس والصُّلبان"[١١٤]، ولا نعلم مِن أيْن جاء دوزي بهذه المقولة، خاصَّةً أنَّها لم ترِد في المصادر

التَّاريخيَّة الإسلاميَّة، وقد تكون غير صحيحة؛ لأنَّ منطقة بُبشتر كانت لا تزال في ذلك الوقت بحوزة المسلمين، ولا وجود لأهل النَّواقيس والصُّلبان المسيحيِّين فيها.

وما أن رُفع الحصار عن بُبشتر؛ حتى غادر عبدُ الله إلى قرطبة حاملاً معه أخاه على ظهر جمل(١١٥)، وفي هذه اللَّحظة تفرَّق الجنود من حوله وهرولوا عائدين إلى بيوتهم، ولم يعد يرافقُه سوى بعض الأمويِّين، وعددٌ بسيطٌ من ضبّاط القصر، ولم يعلم ابنُ حفصون بموت المنذر إلّا بعد أن أخذ الجيشُ في القُفول، فبادر إلى ملاحقة القافلة الأمويَّة الصَّغيرة، وقبض على كثيرٍ ممَّن ابطأهم المسير، وأصاب منهم غنائم جمَّة، فأرسل له الأميرُ عبد الله رسالةً مع أحد الخصيان المجنَّدين، طلبَ منه فيها عدم التعرُّض للموكب الجنائزيّ، وأخبره رغبتهُ في مسالمته، فتوقَّف عن الملاحقة، وبعد أيَّام قليلة وصلت القافلة إلى قرطبة(١١٦)، ودخلها عبد الله في رهطٍ لا يعدو أربعون فارساً(١١٧)، فاستتمَّ البيعة، ودفن أخاه بعدها(١١٨).

وطوَّقت المصادرُ التَّاريخيَّة المنذرَ بعبارات الثَّناء، وأشادت بصفاته ومآثره؛ ولم يخلُ بعضُها من مبالغة، فوُصف بشدَّة الشَّكيمة ومضاء العزيمة والشَّجاعة والصَّرامة والحزْم، وبمحبته لإخوته وإكرامه لهم، وإدنائهم من مجلسه، وقيل فيه: "ولقد بلغ في سنَةٍ ما لم يبلُغه غيرُه في الدَّهر، ولقد كان أبطالُ الرِّجال وأنجادُهم من أهل الفتنة يُذعنون إليه دون محنة، ويرسلون إليه بالطَّاعة قبل أنْ يطلبها"، "وذكر الشُّيوخ الَّذين أدركوا ذلك الزَّمان أنَّه لو عاش المنذرُ عاماً واحداً زائداً لم يبقَ بين يديه منافق"، و"بالمنذر بن محمَّد صلُحت بلاد الأندلس"(١١٩)، ولم ينفرد بذمِّه سوى ابنُ سعيد(١٢٠): "وكان شَكُس الأخلاق مُرَّ العِقاب .. فاقداً للهمَّة، مفتقراً إلى الحُلم. ممَّا يجعل هذا الذمَّ فاقداً للمصداقيَّة والقيمة في ظل سيْل المديح والثَّناء الَّذي كالهُ له الآخرون. ويبدو أنَّ الأمر قد التبس على سالم(١٢١) عندما نسبَ الغانيةَ طرب إلى المنذر بن محمَّد، والحقيقة أنَّها للمنذر بن عبد الرَّحمن الأوسط، أهداها له أحدُ التُّجَّار، فكافأه ألفَ دينار(١٢٢).

أسباب وفاة المنذر وملابساتها: فأما ما يتعلَّق بسبب وفاة المنذر بهذه الصّورة؛ فقد انقسمت آراء المؤرِّخين إلى قسمين، وتراوحت بين مؤيِّد للنَّظرية القائلة أنَّ المنذر قد توفِّي

وفاةً طبيعيَّةً، أو بسبب اغتيال طبيبه أو أحد معاونيه له، دون أن يكون لأخيه عبد الله دورٌ في ذلك، وأما النَّظريَّة الأخرى فأشارت بأصابع الاتّهام لأخيه بالضُّلوع في مقتله. وممَّا لا شكَّ فيه أنَّ ابن عبد ربّه؛ المعاصر للمنذر، كان يعرفُ الحقيقة، ومن الطبيعيّ أن لا يوجّه أصابع الاتّهام للأمير عبدِ الله لو كان متورّطاً بالفعل بدم أخيه، خاصة أنّهَ كان من المقرَّبين للبلاط الأمويّ، ومن المتكسِّبين على أعتابه بأدبهم وشِعرهم، لا بل وصفَ عبدَ الله "بالتَّقي النَّقي، العابد الزّاهد، التّالي لكتاب الله، والقائم بحُدوده"[١٢٣]، ولم ينسب صفاتٍ دينيَّة مماثلة للمنذر.

وأما ابنُ القوطيَّة[١٢٤] الَّذي يندرج هو الآخر ضمن رجالات الدَّولة الأمويَّة في الأندلس؛ فقد بدا وكأنَّه يحاول تبرئة ساحة الأمير عبد الله عندما ألقى التُّهمة على ميسور الفتى طبيب المنذر، قائلاً أنَّ المنذر قد أُصيب بنزيفٍ دمويٍّ حادّ "هجم عليه الدَّم"، فاحتاج إلى الفَصد، فسمَّ له ميسورٌ القطنَ المجعولَ في جُرح الفَصد، ممَّا أدّى إلى وفاته، "إذ كان الأميرُ قد تهدَّده بشيءٍ استقصره فيه، أنَّه يوقِع به عندَ انصرافه إلى قرطبة". وتجدر الإشارة أنَّه ليس من المعقول أن يشكِّل هذا التَّهديد مبرّراً مقنعاً يدفعُ الطَّبيب إلى ارتكاب جريمة تورده مورد الهلاك، دون توفُّر ضمانات تحميه من العقاب، وفوق ذلك؛ لو اعتقدنا بصدق اتّهام ابن القوطيَّة للطَّبيب، فهل يُعقل أن يتغاضى الأمير عبد الله عن معاقبته بعد أن انتقلت إليه السُّلطة؟. وممّا توافق مع الآراء السّابقة؛ ما أورده المؤلّف المجهول صاحب كتاب تاريخ الأندلس[١٢٥]، إذ تأثَّر برأي ابن القوطيَّة فبالغ في مدْح الأمير عبد الله؛ وألصقَ به صفات الورَع والمُواظبة على صلاة الجماعة، والقيام بحدود الله تعالى وأحكام كتابه وسنَّة نبيّه (ﷺ)، وأرجع سبب الوفاة إلى التَّزيف، وأضاف أنَّ منصوراً الطبيب سمَّ له مِبضع الفَصد. وأمَّا ابن الخطيب[١٢٦] فصمت عن ذكر تفاصيل وفاة المنذر، واكتفى بالقول: ما أن وصل الأميرُ عبد الله إلى معسكر أخيه حتى مات، دون أن يحمِّل المسؤوليَّة لأيّ طرف.

ومقابل ما ذُكر؛ حمّل عددٌ من المؤرِّخين الأميرَ عبد الله مسؤوليَّة تدبير قتله، ليتولَّى العرش بدلاً منه، وفي مقدِّمة هؤلاء الإمامُ أبو محمَّد بن حزم[١٢٧]، الَّذي قال أنَّه "احتال

على أخيه المنذر لمَّا قصده بالعسكر، وواطأ عليه حجّاماً سمَّ له المِبضع الَّذي فصده به"، والظّاهر أنَّ ابن حزم قد أتى بذلك بناءً على معلومات متواترة موثوقة. كيف لا "والإمام أبو محمد في التَّجريح والتَّعديل حجَّةٌ على قومه"[١٢٨]، خاصَّة أنَّ الدَّولة الأمويَّة في عهده لم تعُد قائمة، ولم يعُدْ هناك من يخشى من الحديث عن عيوب أُمرائها. ولم يستبعد ابن سعيد[١٢٩] هو الآخر ذلك، فأفاد: "ويُقال أنَّ أخاهُ عبدَ الله الَّذي ولي بعده، وكان حاضراً معه، دسَّ إلى الفاصِد مالاً على أن يسُمَّ المِبضع". ويميلُ بروفنسال[١٣٠] إلى تأييد هذه الرِّواية، وأضاف أنَّه في تلك الفترة لم يكُن من الصَّعب تقديم الرَّشوة إلى أيِّ طبيب أو خصيٍّ، ودفْعه إلى تنفيذ القتل. ويذهبُ آخرون إلى تأييد هذه الرِّواية استناداً لما نُسب للأمير عبدالله من صفاتٍ قبيحةٍ؛ كفساد الخُلُق وقسوة الطِّباع، فضلاً عن سياسته الدمويَّة، حيث "كان قتّالاً تهون عليه الدِّماء، مع ما كان يُظهره من عفَّته"، ذلك أنَّه قتل فيما بعد اثنين من أبنائه، وهما محمَّد والمطرِّف، ثم قتل أخويْن له هما هاشم والقاسم[١٣١] ، كما عُرف عنه البراعة في حبْك المؤامرات، ممَّا جعله مُختلفاً في صفاته عن أخيه المنذر وأبيه الأمير محمَّد[١٣٢].

ومن ناحية أخرى؛ لم يرد في المصادر التاريخيَّة أنَّ عبدَ الله قد اجتمع مع أخيه المنذر عندما وصل إلى محلَّته ببُبشتر، مع العلم أنَّ الضَّرورة وحساسيَّة الموقف كانت تتطلَّب ذلك، ويبدو أنَّه اعتزله حتَّى فرغ الجرَّاح من عمله، ولمّا تأكَّد الفتيانُ من موته؛ أعلموه بالأمر ثم نُصِّب أميراً وِفق ما جرى التَّخطيط له. وبما أنَّ الوفاةَ قد حصلت بعد وصول الأمير عبد الله إلى محلَّة العسكر؛ ألم يكن من واجبه حضور عمليَّة الفصد والوقوف عليها بنفسه؟. ألم تحرِّك فيه عاطفةُ الأخوَّة ملازمةَ أخيه عندما كان يحتضر؟، خاصَّة أنَّ الرِّوايات التَّاريخيَّة لم تُشر أنَّه كان حينذاك مشغولاً بأمرٍ آخرَ أكثر أهميَّة. وأخيراً؛ فإنَّ قيام الأمير عبد الله بإصدار أوامره من بُبشتر لصاحب المدينة - بعد تأكُّده من وفاة أخيه - بإطلاق سراح إبناء هاشم بن عبد العزيز وحاشيته، وتهيئتهم ليكونوا على رأس مستقبليه وهو يحمل جثَّة أخيه؛ يدلُّ بوضوح على عدم وفائه له. ومن خلال كلِّ ما ذُكر فإنَّه يُمكن

الاستنتاج أنَّ الأمير عبد الله يتحمَّل جانباً كبيراً من المسؤوليَّة عمَّا حصل، ممَّا يضعه في دائرة الاتِّهام بالتَّسبب في التَّعجيل بموت أخيه، حتَّى يتسنَّى له استلام الحُكم.

ومهما يكن من أمر؛ أدَّت وفاة المنذر على هذا النَّحو المُريب والمفاجئ إلى انتشار الفوضى والتمرُّد في مناطق عديدة، ومن ذلك تمرُّد عبد الكريم بن إلياس، أحدُ وجهاء البربر، من مغيلة في كورة شذونة، وكان في عسكر المنذر لما توفِّي، فانصرف في قومه إلى مغيلة وجمع العرب واستولى على قلعة ورد القريبة، ممَّا اضطرَّ الأمير عبد الله إلى بذل الجهود من أجل ردِّه إلى الطّاعة، وظلَّ عليها إلى أن توفِّي أيّام الأمير المذكور، ومن التَّداعيات الأخرى الَّتي أعقبت وفاة المنذر؛ الثورةُ الَّتي قام بها في وشقة محمَّد بن عبد الملك بن شبريط (ت. ٢٨٦هـ/٨٩٩م) المعروف بالطَّويل، ولم يهدأ حتى سجَّل له الأمير عبد الله على المدينة ونواحيها[١٣٣]. ومن الجدير بالذِّكر أنَّ عهدَ الأمير عبد الله، الَّذي امتدَّ حتَّى وفاته عام ٣٠٠هـ/٩١٢م؛ لم يكُن أحسنَ حالاً وأكثر هدوءاً من عهد أخيه؛ لا بل غصَّ بالفتن، واستقلَّ الثّائرون بمناطقهم على حساب سيادة الدَّولة، فساءت الأحوال، وقلَّت الجبايات، وقوي أمرُ ابن حفصون، واستولى على مناطق جديدة، وتعبيراً عن جسامة الأخطار الَّتي ألمَّت بالدَّولة مطلع عهده؛ قال ابن الخطيب[١٣٤]: "وتصيَّرت إليه الخلافةُ وقد تحيَّف النَّكث أطرافَها، واقتسمها الثوّار، وكلب عليها الأشرار، ولم يبقَ منها إلّا الرَّسمُ فوق ظهر منبر قرطبة والقليل من غيرها".

المبحث الثاني: مظاهر الحضارة في عهد المنذر بن محمد

النظم السياسية والإدارية: يتَّضح ممَّا ورد في المصادر التَّاريخيَّة أنَّ الأمير المنذر كان يطمحُ إلى بناء دولته على نحوٍ يُمكِّنه من فرض سلطته على جميع أنحاء البلاد، والسَّير بها نحو التطوُّر على مختلف الصُّعد، إلّا أنَّ الموتَ عاجله، فلم يطُل عهدُه، وكان المنذرُ قد اهتمَّ بدواوين الدَّولة وخِطَطها، فنظَّم خطَّتيّ الوزارة والقضاء بعد أن أعاد تشكيلهما من جديد، وعيَّن الوُلاة على الولايات والكوَر، وشمل اهتمامه العمارةَ الدِّينيَّة، فزادَ على جامع قرطبة، ولقي علماءُ عهده الرِّعاية والتَّشجيع، وكان للأدب والشِّعر نصيبٌ وافر في مجالسه ومحافله.

١: الوزارة: فأمَّا ما يخصُّ خطَّة الوزارة في عهد المنذر: فقد يجد الدّارس صعوبةً في التَّفريق بينها وبين منصب الحجابة، لتداخلهما، فجُعلتا في بعض المصادر التَّاريخيَّة خطَّة واحدة؛ فقيل (الحاجب الوزير)، وفُرِّق بينهما أحياناً أخرى؛ على عكس ما كان سائداً في بلاد المشرق، حيث لا نكاد نجد خلطاً بين المنصبين. وفي بعض المراحل أُطلق مصطلح الحاجب على الشَّخص الَّذي كان يشكِّل حلقة وصل بين الوزراء والخليفة، على اعتبار أنَّ كلَّ ناحيةٍ من نواحي الإدارة لها وزير مختصٌّ بها، ثمَّ هناك الرِّئاسة العامَّة وهي الحجابة[١٣٥]. وفي مراحل أخرى أطلق الأندلسيّون كلمة وزيرٍ على كلِّ من يُجالس الخليفة من أهل الرأي والمشورة والحلِّ والعقد، وإن لم يشغل هذا المنصب المعروف، وأطلقوا كلمة حاجبٍ على من شغل هذا المنصب بالفعل[١٣٦]، وهذا ما سيظهرُ عند الحديث عمَّا توفر لدى الدَّراسة من معلوماتٍ حول حُجَّاب المنذر ووزرائه.

وكان الأميرُ المنذر قد احتفظ في بداية عهده بوزراء أبيه، وجعل أبا خالد هاشماً بن عبد العزيز لحجابته بعد أن كان وزيراً[١٣٧]؛ ويبدو أنَّه لم يكن يرغب بالإبقاء عليه، كما تقدَّم ذِكرُه، ولكنَّه فعل ذلك مؤقتاً؛ بِرّاً بذكرى والده[١٣٨]، ومن ناحية أخرى؛ حرص على اختيار وزراء دولته ورجالها ممَّن يثق في إخلاصهم وولائهم، وبلغ عددُهم في عهده أحد عشر وزيراً[١٣٩]، ولعل من أهم هؤلاء: الحاجب الوزير عبد الرَّحمن بن أميَّة بن عيسى بن شهيد، المعروف بدُحيْم، الَّذي ندبه مكان هاشم بن عبد العزيز[١٤٠]، ومنهم أيضاً: كاتب الأمير المنذر عبد الملك بن عبد الله بن أُميَّة بن شهيد، ولبث بنو شهيد عصراً يستأثرون بمناصب الحجابة والكتابة، بالإضافة إلى كاتبه الآخر: سعيد بن مبشِّر[١٤١]. وممن تولَّوا خطة الوزارة للمنذر؛ أبو غالب تمام بن عامر بن أحمد بن غالب بن تمام بن علقمة الثَّقفي(ت. ٢٨٣هـ٨٩٦م)[١٤٢]، ومن وزرائه أيضاً؛ محمَّد بن عبد الملك بن جهور، الَّذي ولِّي الوزارة والقيادة للأمير محمَّد إلى جانب هاشم بن عبد العزيز، وقيل أنَّ ابن جهور هذا كان ناقص الأدب، ساذج الصناعة[١٤٣]، وكان هاشم بفطنته ورقَّة أدبه يكيده ويستنزله، فتأجَّجت نار العداوة بينهما، وعندما تولَّى المنذرُ الإمارة أعاده إلى الوزارة بعد أن كان خاملاً، وبقي على رأس عمله إلى أن احتال عليه هاشم، فسمَّ له ماء الشُّرب، بواسطة

خادم الوزراء المدعو عمر، وعندما سرى السُّم في جسده أخذ عند الموت يقول: يا رُبَّ صنيع دبَّرته لست أشهده، وحضر هاشم جنازته فأنشد فوق قبره: يا رب عقدةِ سوءٍ حلَّها الموتُ قسراً[١٤٤]، ولا بدَّ أنَّ وفاة ابن جهور كانت في مطلع عهد المنذر حينما كان هاشم لا يزال متولّياً حجابته.

واقترنت خطة الوزارة مع خطة الكتابة العليا في بعض الأحيان، وممن اختصّوا بهما معاً في عهديّ الأميرين محمد والمنذر؛ أبو مروان، عبد الملك بن أبي حوثرة؛ وعندما توفّي المنذرُ جمع الأمير عبد الله لأبي مروان القيادة مع الوزارة، ولكنه ما لبث أنْ قُتل على يد المطرّف بن الأمير عبد الله، لعداوة كانت بينهما[١٤٥]. ومن رجال دولة الأمير المنذر صنيعتُه قبل إفضاء الخلافة إليه؛ عبد العزيز بن عبد الرَّحمن بن عبد العزيز التَّجيبي، الَّذي رافقه في عددٍ من الصَّوائف إلى سرقسطة وبمبلونة، وكان أبوه عبد الرَّحمن عند انتقاله إلى قلعة أيّوب[١٤٦] قد استخلف ابنه عبد العزيز على دَرَوْقة[١٤٧]، ولمَّا ولِّي المنذر قدِم عبد العزيز إلى قرطبة في رجال أبيه، وصار من ندمائه ومن أقرب رجالات الدَّولة إليه، وتابع الأمير عليه الصِّلات والكسيّ، وأخرج إليه جارية من القصر مجهَّزة بأفخم جهاز، وغزا عبد العزيز معه غزاتَه الأولى إلى بُبشتر، ولمّا مات عام ٢٧٣هـ/٨٨٦م أو في العام التالي؛ قدَّم المنذر على دَرَوْقة ابنه يونسَ، الَّذي استمرَّ في خدمة الإمارة الأمويَّة حتى فترة حكم عبد الرَّحمن الناصر[١٤٨]. ومن أكابر أبناء العرب بكورة إلبيرة؛ أضحى بن عبد اللَّطيف الهمْداني، وكان أديباً خطيباً يقوم بين يدي الخلفاء في المحافل فيُحسن القول ويُطيب الثَّناء، وله مقامٌ مذكورٌ بين يدي الأمير المنذر، وأمَّا إسحق بن إبراهيم بن صخر بن عطّاف بن الحُصين بن الدَّجْن العقيلي(ت. ٣١٣هـ/٩٢٥م)، فكان يُعدُّ من أهل المعاقد أيَّام الجماعة، شهد مع الأمير محمَّد الصَّوائف، وقام بين يديه خطيباً في الأعياد والمجالس والمحافل، وجرى على ذلك أيَّام ولديه المنذر وعبد الله[١٤٩].

٢: <u>الإدارة:</u> واتَّكأ نظامُ الحكم والإدارة في عهد المنذر على عدَّة أركان، أهمُّها النِّظام الَّذي كان سائداً في عهود من سبقوه واستمرَّ بعده، والَّذي قام على تقسيم الدَّولة إلى كور وولايات، وعلى رأس كلٍّ منها والٍ أو حاكمٍ من قبله. وبدت المصادرُ التَّاريخيَّة شحيحةً

حول وُلاة المنذر، ولكنَّها أشارت إلى ما يؤكِّد اهتمامه بهذا الأمر، وليس أدلّ على ذلك من أنَّ خبرَ وفاة أبيه لم يُشغله عن التَّعريج على كورة ريَّة وهو في طريق عودته من الحامة إلى قرطبة، فهذَّب أمورها وولَّى عليها سليمان بن عبد الملك بن أخطل وعبد الرَّحمن بن حريش، وأدخل معهما أهل المَعاقِل من الحشم[١٥٠] والعرب ليكونوا عوناً لهما[١٥١]. ثمَّ أتت المصادرُ على توْليتهِ لأحمد بن البراء بن مالك القرشي(ت. ٢٧٦هـ/٨٨٩م) ثغرَ سرقسطة في المناطق الشَّماليَّة الشَّرقيَّة من الأندلس، فعلا أَمرُه واستكثر من الرِّجال، وكان أبوه من كبار وزراء الأمير محمَّد، ومن الملازمين للمنذر قبل التَّولية، حيث اشترك معه في حرب الجُليقي، وظلَّ هذا البيت ينعم بالنُّفوذ حتى ولِّي الأمير عبد الله بن محمَّد، فانقلب عليهم، وتآمر مع التَّجيبيّين لقتل أحمد بن البراء، فقتلوه في سرقسطة عام ٢٧٦هـ/٨٨٩م[١٥٢]. واستعان المنذر في تصريف شؤون دولته وإدارتها على ميزانيَّة الدَّولة: واشتملت في عهده على ثلاثمائة ألف دينار[١٥٣]؛ مائة ألف للجيوش، ومثلها للنَّفقة على النَّوائب، ومثلها ذخيرة ووفرة[١٥٤]، وعلى صعيد آخر؛ انتشرت دورَ الطِّراز انتشاراً واسعاً في عهده، ويبدو أنَّه اعتمد على بعضها في قطْع ثياب ابن حفصون وأولاده وخياطتها، عندما خدعه، وتظاهر أنَّه داخلٌ في طاعته[١٥٥].

٣: <u>النظام القضائي:</u> لمَّا كان القضاءُ من الخطط الدينيَّة الجديرة بالاهتمام؛ فقد كانت سياسة أمراء بني أميَّة مع القُضاة تتَّسم بالاحترام والتَّأييد والمساندة في إنفاذ أحكامهم، وعدم نقضها على الرَّغم أنَّ بعضَها كان لا يوافق رغباتهم[١٥٦]، وعُدَّ التقارُبُ بين المؤسَّسة الأمويَّة الحاكمة والعلماء والفقهاء وسيلةً لاستكمال الصِّفة الشَّرعية لهذا الحاكم أو ذاك، حتى بات ذلك من أساسيَّات وضرورات الحُكم. ومن ناحيةٍ أخرى؛ مع أنَّ مذهب الدَّولة مالكيٌّ؛ إلّا أنَّ الأندلس في العصر الأمويّ كانت منفتحةً على المذاهب الأخرى، ومن الأمثلة على ذلك؛ أنَّ أقرب الفقهاء إلى الأمراء الأمويّين في الأندلس كان شافعيَّاً، وهو قاسم بن محمَّد قاسم بن سيَّار(ت٢٧٧هـ/٨٨٩م)، من أهل قرطبة، وسمع من عُلماء مصر والحجاز، وكان يذهبُ مذهب الحُجَّة والنَّظر وترْك التَّقليد، وظلَّ ابن سيَّار يحتفظ بمكانته في عهد الأميرين المنذر وعبد الله[١٥٧].

ولقد حرص كلُّ أميرٍ من أمراء الأندلس على أن يكون على درجةٍ كبيرةٍ من الثَّقافة الدِّينيَّة بحيث تسمح له بمُجالسة الفقهاء، الَّذين كانوا في العادة زينة مجالسهم ومستشاريهم، وكانت ثقافةُ هؤلاء تدفعُهم إلى احترام العلماء وإجلالهم ووضعهم الموضع الكريم الَّذي يليق بهم[١٥٨]. ومن صور احترام الأمير المنذر للفقهاء: إعظامُه الشَّديد لبَقيّ بن مَخلَد(ت. ٢٧٦هـ/٨٨٩م)[١٥٩]. وكان بقيُّ قد دخل على الأمير في المصلَّى، فمنعه من تقبيل يده، وأجلسه على جانبٍ من فراشه على رؤوس النَّاس، وكان له خاصَّاً وصنيعةً قبل ولاية الملك، وكان قد قدَّم إليه بقيُّ البشرى بالخلافة لرؤيا قصَّها عليه، فلما صارت الخلافةُ إليه وفَّى له على ما كان له من الإجلال والإكرام[١٦٠].

وتدلُّ الصِّفات الَّتي تحلَّى بها الأمير المنذر على التزامه وجدِّيته وتديُّنه، ومن مظاهر ذلك على سبيل المثال لا الحصر: العبارة الَّتي حملها نقْش خاتَمه: المنذرُ بقضاءِ اللهِ راضٍ[١٦١]. ويبدو أنَّ اهتمامه بالنَّواحي الدّينيَّة والقضائيَّة قد بدأ منذ وقت مبكِّر، أي منذ مطلع شبابه؛ إذ كان يجالس علماء قرطبة وشيوخها، وكان قد عرض في عهد أبيه القضاءَ على العالم إبراهيم بن محمَّد بن باز، فأبى قبولَه، فكان المنذرُ - إذ كان ولداً- يقول: لو قبلَ منِّي الأميرُ؛ لأكرهتُه عليه[١٦١]. وأما أوَّلُ قضاة عهد المنذر؛ فأبو أيوب، سليمان بن أسود بن يعيش بن جشبيد الغافقي، ولّاه الأمير محمَّد حُكم كورة ماردة، وصار قاضي الجماعة وصاحب الصَّلاة بقرطبة، ثم عزله، وفي عام ٢٦٣هـ/٨٧٧م أعاده إلى القضاء، ولم يزل عليه إلى أن توفِّي الأمير[١٦٢]، ثمَّ لمَّا ولِّي المنذر أقرَّه عليه، ومكث على رأس خطَّة القضاء أربعون يوماً ثم عزله، بسبب كِبَر سنه وظهور الهرم عليه، ويشار أنَّ سليمان قد عمَّر تسعة وتسعون عاماً وعشرة شهور[١٦٣]. وكان المنذر لما نوى استبداله بآخر قد استشار الوزراء، فأشاروا عليه بزياد بن زياد، فلم يرُق له، فعرض القضاء على بقيّ بن مَخلَد، فأبى قبوله[١٦٤]، ويبدو أنَّ بعض العلماء كانوا يعافون هذا المنصب ويرفضون قبولَه؛ خوفاً من عدم القدرة على أقامة العدل على الأقوياء، وتحرُّجاً من خدمة أمراءٍ لا يرضون عن سياستهم[١٦٥].

ومن ثمَّ استشار المنذرُ ابنَ مَخلَد في زياد بن زياد، فقال له: نِعمَ الحَدَث!، فسأله أن يُشير عليه، فأشار عليه بأبي معاوية عامر بن معاوية بن عبد السَّلام بن زياد اللَّخميّ، فقبل المنذرُ منه وولّاه قضاء الجماعة بقرطبة[١٦٦]، وممَّن كانوا يطمحون في تولّي هذا المنصب زمن المنذر؛ الفقيه أحمد الحبيب بن محمَّد بن زياد اللَّخمي(ت. ٣١٢هـ/٩٢٤م)[١٦٧]، وكان الحبيبُ من خواصِّ بقيّ بن مخلد، فلمَّا أشار بأبي معاوية، أتى الحبيبُ إلى ابن مخلد وعاتبه، فردَّ عليه: لا تلُمني فيما فعلت، فإنّي إنَّما أشرتُ بمن هو عندي أفضلُ منك[١٦٨]. ولمَّا ولّي أبو معاوية القضاء وقعد في الجامع؛ أتاه سليمان، فلمَّا سلَّم قال: الحمدُ لله الَّذي جعل على إثري مثلَك، ويبدو أنَّه قال ذلك مجاملةً، لأنَّه لما عُزل صار ينتظر بلهفةٍ ولاية الأمير عبد الله ليعود إلى القضاء مرَّة أخرى، للصِّلة الوثيقة الَّتي كانت تجمع بينهما، وكان سليمان صنيعة الأمير عبد الله قبل ولايته، فلما ولّي وأغفله؛ تكدَّر وأبدى أساهُ، وكتب في ذلك شِعراً[١٦٩].

ووُصف أبو معاوية أنَّه من أهل الصَّلاح والفضل، ومن أجلِّ العلماء، وكان خطيباً مفوَّهاً فيه رقَّةٌ تستميل القلوبَ وتُبكي العيون[١٧٠]، وكان في الأصل مسكنُه برَيَّة، وله رحلة في أيام عبد الرَّحمن الأوسط سمع فيها من الإمامَيْن سحنون(ت. ٢٤٠هـ/٨٥٤م) بالقيروان وأصبغ بن الفرج(٢٢٥هـ/٨٤٠م) بمصر، وعنه كانت تُروى في عهد المنذر آدابُ القضاة من تأليف أصبغ[١٧١]. وورد في إحدى الرِّوايات ما يُفيد أنَّ القضاء في عهد المنذر كان يتمتعُ بالاستقلال عن السُّلطة التَّنفيذيَّة؛ ومن ذلك خبرُ خصومةٍ لأيدون الفتى - أحد كبار رجال البلاط - على فدّان بعدوة الوادي، نازعه عليه رجل يدعى محمد بن غالب بن الصفار (ت. ٢٩٥هـ/٩٠٧م)[١٧٢]، في أوَّل أيّام الأمير المنذر، وطالت هذه الخصومة واستمرَّت طوال ولاية سليمان، فلمّا عُزل ووُلّي أبو معاوية؛ قضى بالفدّان لابن الصفار، وأشهدَ له على القضيَّة، وأمر الكاتبَ أن يسجِّلها[١٧٣]، حفظاً للحقوق وقطْعاً للإنكار، وعُدَّ الكاتبُ من أهمِّ أعوان القاضي في مجلسه[١٧٤]. ولم يزَل أبو معاوية قاضياً وصاحب الصَّلاة حتَّى وفاة المنذر[١٧٥].

النَّواحي العمرانيَّة: يبدو أنَّ المدَّة القصيرة الَّتي قضاها المنذر في الحكم، وانشغاله بمقارعة أعداء الدَّولة، حالت دون قيامه بإنجازات عمرانيَّة كثيرة، وأفادنا ابن حيَّان[١٧٦] أنَّ من مآثره العمرانيَّة "القصبة الرّاكبة للنَّهر المنسوبة إليه اليوم، بالدّار المعروفة بدار المُلك على شاطئ النَّهر، فوق سور المدينة القبليّ". ويبدو أنَّ اهتمام المنذر قد انصبَّ أكثر على الجامع الأمويّ الكبير بقرطبة، فأولاه عنايةً خاصة، وكانت مقصورته قد اكتملت في عهد الأمير محمَّد عام ٢٥٠هـ/٨٦٤م[١٧٧]، ولمّا جاء المنذرُ أمر بإصلاح السَّقائف، وتجديد السِّقاية[١٧٨]، واهتمَّ بترميم زخارف الجامع، الَّتي كان أمراء بني أميَّة قد نقشوها، وزادوا عليها، وحرصوا على تجديدها، ومن هؤلاء الأمير عبد الرَّحمن الأوسط(٢٠٦-٢٣٨هـ/٨٢١-٨٥٢م)، الَّذي مات قبل أن يتمَّ الزَّخرفة، فاتمَّها ولدُه محمَّد، ثم رمَّم المنذر ما وَهيَ منها[١٧٩]. ومن أهمِّ الزِّيادات الَّتي شهدها جامع قرطبة في عهد المنذر؛ البيت المعروف ببيت المال(قبَّة الخزنة)[١٨٠]، الَّذي أقامه في صحن الجامع على نمط بيوت المال في المساجد الأمويَّة بالفسطاط والجامع الأمويّ بدمشق، وحماة وحمص[١٨١]، ووضع المنذرُ فيه الأموال الموقفة لغيَّاب المسلمين[١٨٢]، انسجاماً مع ما جرت عليه العادة في المساجد الجامعة، حيث كانت أموالُ الأحباس توضع في خزنة المقصورة[١٨٣]، تحت نظَر وإشراف ومسؤوليَّة قاضي الجماعة[١٨٤]، وكان يُصرف منها أيضاً على الزِّيادات العمرانيَّة، ويُستدلُّ على ذلك ممَّا فعله الحكم المستنصر بالله(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م)[١٨٥] عندما أمر بتوسعة جامع قرطبة والزِّيادة فيه[١٨٦]. ويذكرُ سالم[١٨٧] أنَّ النَّمطَ المعماريَّ والزُّخرفيَّ لقبَّة المنذر يكشفُ عن تأثيرات شاميَّة واضحة، للشَّبه الكبير بينها وبين قبَّة الخزنة في جامع دمشق وسائر الجوامع السوريَّة، والَّتي كانت عبارة عن غرفةٍ مثمَّنةٍ مرتفعةٍ تعلوها قبَّة، وتقوم على ثمانية أعمدةٍ رخاميَّة.

العلم والأدب والشِّعر: أبدى الأميرُ المنذرُ حرصاً شديداً على الاهتمام بالعلم والعُلماء، وشملت رعايتُه كلَّ "مَن أخذَ بِخطٍّ من عِلمٍ أو أدبٍ"، فأدناهم من مجلسه، وأنزلهم منازلهم، وأكرمهم، وأغدق عليهم الأموال بسخاء[١٨٨]، ولم يقتصر اهتمامُه على العلماء الأندلسيِّين وحسب؛ وإنما شملت رعايتُه الوافدين، وحرص على استقبالهم في قصره،

ومنهم محمَّدٌ بن موسى بن بشير بن جناد بن لقيط الكِناني الرّازي(ت. ٢٧٧هـ/٨٨٩م)[١٨٩]، وكان يفد من المشرق تاجراً، ومع ذلك عُرف أنَّه كان متفنِّناً في مختلف أصناف العلوم[١٩٠]، وكان قبل ذلك من المقرَّبين للأمير محمَّد ومن الحافظين لأسراره، ثم انصرف إلى المشرق وحجَّ نيابةً عنه، ولمّا عاد ثانية إلى الأندلس سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م؛ أهداه الأمير جاريةً روميَّة، ولمّا ولِّيَ المنذر اتَّخذه كاتباً في دولته وقرَّبه، "وقد كان نزل من الأمير المنذر بألطفِ مكان، فكان يجالسُه ويستنيمُ إليه ويشاورُه"، فلما توفِّي المنذرُ خرج الرّازي من قرطبة ينوي الرُّجوع إلى بلده، فاعتلَّ بمدينة إلبيرة، ثم توفِّي عام ٢٧٧هـ/٨٨٩م[١٩١].

ومن مظاهر اهتمام المنذر بالعلم وأهله؛ انتقاؤه وزراءَه من طبقة العلماء والأدباء، كالوزير أبي غالب تمام بن عامر، الَّذي كان لغويّاً أديباً شاعراً، ومن أهل التّاريخ، وله أُرجوزة "ذكر افتتاح الأندلس وتسمية وُلاتها والخُلفاء فيها ووصْف حروبها من وقتِ دخول طارق إلى آخر أيّام الأمير عبد الرَّحمن بن الحكم"[١٩٢]، ويتَّضح من ذلك أنَّ التّاريخ المنظوم (الأراجيز) قد احتلَّ حيّزاً مهمّاً في الفضاء الثَّقافي الأندلسي، ممّا يُظهر الصِّلة القويَّة بين التّاريخ والأدب، وقد تجسَّد ذلك جليَّاً في منظومات الوزير المذكور[١٩٣]. ومن لغويّي وأدباء البلاط؛ محمَّد بن موسى بن هاشم بن يزيد النَّحوي الأندلسي(ت. ٣٠٧هـ/٩١٩م)، مولى المنذر، وكان متصرِّفاً في علوم الأدب والأخبار، رحل إلى المشرق فلقي بمصر أبا جعفر بن قتيبة الدَّينوري(ت. ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، وانتسخ كتابَ سيبويه(ت. ١٨٠هـ/٧٩٦م)، وأخذ عنه رواية، وله كتبٌ في الأدب منها "شواهد الحُكم" و "طبقات الكُتَّاب بالأندلس"[١٩٤].

وكان الشِّعر الأندلسيُّ بوفرته وغزارته وتنوُّع مجالاته في هذا العصر؛ يحتلُّ في نفوس الأندلسيِّين مكاناً عالياً على اختلاف طبقاتهم، ولقد كان الكثيرُ من الأمراء الأمويِّين بالأندلس شُعراء، وقلَّما تجدُ من بين الأفراد المشهورين من لا يقرض الشِّعر[١٩٥]، وشكَّل الشِّعر والأدب وسيلةً ترفع من صاحبها إلى أسمى مراتب الدَّولة[١٩٦]، وعاشا مع الحياة السِّياسيَّة وأصبحا ظلّاً لها؛ فكان من متمِّمات الحياة السِّياسيَّة قيامُ الشُّعراء بين يدي الأمراء في كل المناسبات، حتَّى صار الشَّاعرُ رفيق الأمير، فها هو المنذر، وعلى الرَّغم أنَّه لم يكن من الأدباء أو الشُّعراء؛ إلّا أنَّه لم يجِد بُدّاً من السَّير على سُنَّة أسلافه من بني أميَّة في

ولعهم بالأدب والشِّعر وعشقهم لمَجالِسهما، وكان الشُّعراء ينشدونه قصائدَهم غازياً وراجعاً، فيستمع لهم ويُجزل لهم العطاء[١٩٧]، ومن مظاهر اهتمام المنذر بالشِّعر: مراسلاته الَّتي سجَّلتها لنا كتب الأدب مع أخيه أبي القاسم المطرِّف بن محمَّد، عندما كتب له الأخير - وكان مؤالفاً لأخيه المنذر منقطعاً إلى صداقته - قصيدةً يطلبُ منه فيها أن يزورَه ليقضيا يوماً في ظلال جمال الطبيعة، فأجابه إلى ذلك[١٩٨].

ومِن شُعراء المنذر وخواصِّه وندمائه؛ أبو عثمان سعيدُ بن سليمان بن جودي السَّعدي(ت. ٢٨٤هـ/٨٩٧م)، من قبيلة هوازن، وعُدَّ من شجعان العرب، ممَّن شبّوا على الجود والفروسيَّة، كما وُصف أنَّه كان سيفاً عربيَّاً مسلولاً على أعداء الدَّولة، وتمرَّس السَّعديُّ في مختلف فنون العلم والأدب والشِّعر، فترك شعراً يصوِّره محارباً قويَّاً شديد البأس، وعُدَّ أيضاً من الخُطباء البُلغاء، خطب خطبةً بليغةً بين يدي المنذر لمَّا أفضت الإمارةُ إليه، وعليه قباءُ خزٍّ، وقد تنكَّب قوساً عربيَّة، والكنانة بين يديه، ثمَّ وصل خطبته بشعرٍ حسن، ولم يزل السَّعديُّ يخطب على منبر المسجد الجامع في مدينة إلبيرة إلى أنْ قُتل عام ٢٨٤هـ/٨٩٧م[١٩٩]، وينسجم شِعرُ السَّعديّ مع الاتِّجاه التَّقليديّ المُحافظ؛ الدّائر في فلك الفخر والحماسة والغزل، وتظهر شخصيَّتُه فيه بوضوح، فضلاً عن صلاحيَّة شِعره للتَّلحين والغناء[٢٠٠].

ولعلَّ من أهمِّ شُعراء الأندلس وأدبائها في القرن الرّابع الهجري/العاشر الميلادي؛ أبو عمر أحمد بن محمَّد بن عبد ربّه بن حبيب القرطبي(ت. ٣٢٨هـ/٩٤٠م)، الَّذي وُلد عام ١٤٦هـ/٧٦٣م، وعُدَّ من العلماء المُكثرين من المحفوظات والاطِّلاع على أخبار النَّاس، له "العقد الفريد"، وديوان شعر حسن[٢٠١]، ووُصف بِـ"شاعر الأندلس وأديبها"[٢٠٢]. ووقف ابنُ عبد ربّه إلى جانب المؤسَّسة الحاكمة، وكان عُمره حين توفِّي الأمير محمد سبعةً وعشرين عاماً، ويبدو أنَّ صِلتَه به لم تكن وثيقة؛ لأنَّه يروي صفاتَه عن أستاذه بقيّ بن مَخلَد[٢٠٣]، فلمَّا ولِّي المنذر الإمارةَ أصبح من شُعرائه المقرَّبين، فمدحه ومدح بعدَه الأمير عبد الله والخليفة عبد الرَّحمن النّاصر[٢٠٤]. وله في المنذر قصيدةٌ طويلةٌ، مدحه فيها تقرُّباً منه، بقي منها بيتان[٢٠٥]:

بالمنذر بن محمَّدٍ شرُفت بلاد الأندلسْ

فالطَّير فيها ساكنٌ والوحش فيها قد أَنِسْ

وقال الوزيرُ المغربيُّ[٢٠٦] أنَّ هذه القصيدة قد انتشرت، ولمَّا اتَّصل خبرُها بعدئذٍ بالمعزِ لدين الله الفاطميّ(٣٤١-٣٦٥هـ/٩٥٢-٩٧٥م)؛ شقَّت عليه، وساءَه ما تضمَّنته من "الكذب والتَّمويه"، فعارضها شاعرُه أبو الحسن علي بن محمَّد الإيادي(٣٦٥هـ/٩٧٥م) بقصيدته الَّتي أوَّلها:

رَبْعٌ لزينب قد درَسْ واعتاضَ عن نُطقٍ خرَسْ

ولم يقتصر مديح ابن عبد ربّه على المنذر وسائر الأمراء الأندلسيّين؛ بل شمل عدداً من الوزراء والفقهاء وحكَّام الأقاليم من رجال الدَّولة، فمدح من قُوَّاد المنذر عبدَ الله بن محمد بن أبي عبده، وأخاه أبا العبَّاس أحمد[٢٠٧]. وتميَّزت مواضيعُ الأشعار في عصر الإمارة الأمويَّة في الأندلس بالتنوَّع في الأغراض والمضامين، وظهر ذلك في أشعار الشَّاعر المشهور بالعَكّي[٢٠٨]، الَّذي اشتُهر بمدْح المنذر ونظْم الشِّعر فيه؛ ففي عام ٢٧٤هـ/٨٨٧م شهدت الأندلس انقطاعاً في نزول المطر، فحلَّ الجفاف والقحط، واستسقى النّاسُ فلم ينزل سوى ثلج كبير، واستسقوا مراراً ولم يُمطَروا، فخامرهم القنوط، ثم استسقى بالنَّاسِ الفقيهُ أحمد الحبيب بن محمَّد بن زياد، بديلاً للقاضي أبي معاوية من غير ولاية، بتكليفٍ من الأمير، فانهمر الغيثُ وسُقيَ النَّاس، فقال العَكّي في ذلك شعراً مدح فيه المنذر[٢٠٩]:

نَزَلَ الحَيَا المُحيي وطابَتْ أنفُسُ إذ كان سُوء الظَّنّ فيها يَهجِسُ
أحْيَى الإلهُ عِبَادَهُ من بَعْدِ ما كانت من القنطِ النفوسُ تُوسَوِسُ
مُتلافياً فيه بعائدِ رَحمةٍ لَولا عَوَائدُها طَوَتنَا الأبْؤُسُ
مَلِك المُلوك تقدَّسَت أسماؤهُ ال حُسنى وعَزَّ جَلالَه المُتَقَدِّسُ
بالمُنذرِ المَيمُونِ طابَ زَمانُنا وبطيبِ دَولَتِهِ تِطيبُ الأنفُسُ
خُذْها أمِينَ الله وابن أمِينِهِ من شاكِرٍ في الشُّكرِ لَيْسَ يُدَلِسُ

ومن الجدير ذِكرُه أنَّ عادة الاستسقاء ببركة الخلفاء كانت سائدةً في جميع العصور الإسلاميَّة، وكأنَّ الخليفة هو من يتسبَّبُ في سقوط المطر؛ فقد سُقيَ الناسُ بالخليفة العبّاسيّ المهديّ(١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) عام ١٦٦هـ/٧٨٢م، وانشد الشُّعراء في ذلك شِعراً[٢١٠]، طمعاً في الأُعطيات.

خاتمة

فبعد أن اكتملت هذه الدِّراسة؛ أمكن الخروج بالنَّتائج الآتية:

- تَجمَّل المنذرُ بن محمَّد بالاستقامة وحسْن السِّيرة، وأشادت المصادر التَّاريخيَّة بصفاته ومناقبه، ولعلَّ ذلك ما أهَّله ليكون الرَّجل الثَّاني في عهد أبيه، فاختاره دون سواه وليَّاً لعهده، وقائداً لجيوشه، فأثبت كفاءة منقطعة النَّظير في محاربة المتمرِّدين في طليطلة والثَّغر الأعلى والغرب الأندلسي، وكان له دورٌ كبيرٌ في لجْم الممالك المسيحيَّة، وحصْر نفوذها في المناطق الواقعة إلى الشَّمال من نهر دُويرة.

- تميَّز المنذرُ بصِفات قياديَّة دلَّت على مقدرته على وأْد الفتن وإخماد الثَّورات وقيادة الأندلس إلى برِّ الأمان؛ ولو قدَّر اللهُ تعالى أن يمتدَّ عمرُه لتمكَّنَ من ذلك، ولاستطاعَ القضاء على عمر بن حفصون وغيره من زعماء الفتنة، وكان من ذلك قريبٌ، لولا أنْ عاجلته المنيَّة.

- لا ترى الدِّراسةُ في عمر بن حفصون رجُلاً ذا رسالة سياسيَّة أو فكريَّة محدَّدة وواضحة المعالم، بل شخصيَّة مغامرة، مطبوعة على ممارسة التَّخريب والقتل والنَّهب ونقض العهود، دونما رادعٍ من دينٍ أو ضمير.

- ظهرت بطانةُ المنذر في صورتين متناقضتين؛ البطانة الأمينة الَّتي تشكَّلت من العلماء والفقهاء، والقضاة الَّذين حرص الأميرُ على انتقائهم بعناية، وسار وفق مبدأ الشّورى في علاقته معهم وفي اتِّخاذ القرارات المتعلِّقة بعملهم، توخِّياً للعدل؛ الَّذي هو أساس المُلك. وأما الصّورة الثَّانية فتشكَّلت من بطانة السّوء من الوزراء والقُوَّاد والمستشارين، المتنافسين على النُّفوذ، غير آبهين بحالة التَّردّي الَّتي كانت تعيشها البلاد، بفعل حركات التَّمرُّد.

- ارتكب المنذرُ خطأً فادحاً بقتْله وزيرَ أبيه وحاجبه هاشم بن عبد العزيز؛ ففقد بموته قائداً مجرَّباً محنَّكاً، ممَّا تسبَّب في إضعاف القيادة العسكريَّة لديه، فضلاً عن السُّخط الَّذي أثارته عمليَّةُ القتل لدى العامَّة، فكان من شأن ذلك التَّأثير على صلابة الجبهة الدَّاخليَّة.

- أظهرت الدراسةُ اهتماماً لافتاً وإعظاماً متميّزاً من جانب الأمير المنذر تجاه العلم والعلماء، فجعل أهل العلم من جُملة حاشيته وأغدق عليهم العطايا والصِّلات، كما جعل للأدب والشِّعر متَّسعاً فسيحاً في بلاطه ومحافله مع أنَّه لم يكن شاعراً أو أديباً، وإنَّما هي مجاراةٌ لسِمة العصر، وسيْراً على سنَّة أمراء بني أميَّة في ولعهم بالأدب والشِّعر.

- شكَّل الجامعُ الأمويُّ في قرطبة محطَّ عناية المنذر واهتمامه، فبنى في صحنه قُبَّة الخزنة، على غرار القِباب المماثلة في مساجد الشَّام، وكشف النَّمطُ المعماريَّ والزُّخرفيَّ لقبَّة المنذر عن تأثيرات شاميَّة واضحة، للشَّبه الكبير بينها وبين نظيراتها في جامع دمشق والعديد من الجوامع السّوريَّة.

- استنتجت الدِّراسةُ أنَّ موت المنذر كان بسبب فعل فاعلٍ، وقد يكون أخوه الأمير عبد الله هو من تسبَّب بموته، بهدف تولّي الحكم بدلاً منه، واتَّضح ذلك من خلال أصابع الاتِّهام الَّتي وجَّهتها إليه العديدُ من المصادر التَّاريخيَّة.

- أخيراً، توصي الدِّراسةُ بإيلاءِ تاريخ الخلفاء والأمراء من ذوي العهود القصيرة الاهتمام الَّذي ينبغي، كما هو الحال بالنِّسبة لعهد المنذر بن محمَّد، حتَّى تكتمل صورة المؤلَّفات التَّاريخيَّة وتتَّصل حلقاتُها.

الهوامش :-

١- ابن حزم، رسائل ابن حزم ، ج٢، ص٦٤.

٢- أَثْلةُ الشَّيء: أَصْلُه، والأَثْلُ شجرٌ يُشبه الطَّرفاء، إلّا أَنَّه أَعظمُ منهُ وأَكرمُ عوداً، صُنع منه منبر الرَّسول (ﷺ). ابن منظور، لسان العرب، مادة: أَثل.

٣- ابن حزم، رسائل، ج٢، ص١٩٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج٢، ص١١٣.

٤- نباتٌ فيه حُمرةٌ يُصبَغ الشَّعر به. ابن منظور، مادة: كتم.

٥- ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ، ج٦، ص٣٥٧؛ ابن عذاري، ج٢، ص١١٣.

٦- ابن الأثير، ج٦، ص٣٥٧.

٧- ابن عذاري، ج٢، ص١١٣.

٨- تولَّى الحُكْم عام ٢٣٨هـ/٨٥٢م، ووُصف بكمال العقل والبلاغةِ والتَّمكُّن من فنون العلم والأدب. اتَّبع نظام حكم مركزيٍّ بهدف إحكام سيطرته على البلاد، فأخضع الدَّواوين وبيت المال للرَّقابة المباشرة، ووضع نظاماً جديداً للوزارة، وأقرَّ معظمَ وُزراء أبيه. واعتنى بالنَّواحي العمرانيَّة وبخاصَّة في جامع قرطبة، واهتمَّ بالجيش والأسطول، وبالقضاء. ووثَّق علاقاته مع الإمارة الرُّستميَّة في المغرب، وتوفِّي عام ٢٧٣هـ/٨٨٦م. ابن القوطيَّة، تاريخ افتتاح الأندلس، ص٩٦؛ ابن حيَّان، المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص(١٣٦-١٣٧)؛ ابن الأثير، ج٦، ص١١٨؛ ابن الأبّار، الحلَّة السَّيراء، ج١، ص١١٩؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ص٢٢.

٩- الجيل الَّذي نشأ عن مصاهرة العرب والبربر للمسيحيِّين، بالإضافة إلى المتحوِّلين إلى الإسلام الَّذين وصفهم المسيحيّون بالمرتدِّين ***Renegados***. سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص١٢٨. انظر أيضاً:

Chapman, *A History of Spain*, p: 44, 111.

١٠- مملكة أستورياس ***Asturia*** أو جيليقية، شمال غرب بلاد الأندلس. ومملكة بمبلونة ***Pamplona*** في إقليم الباسك ***Vizcaya***. وشكَّل نهر دُويرة ***Duero*** حدّاً فاصلاً بينهما وبين الإمارة الأندلسيَّة. الفقي، تاريخ المغرب والأندلس، ص١١١؛ عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلاميَّة وإسبانيا النصرانيَّة، ص(٤١-٤٢)؛ بروفنسال، تاريخ إسبانيا الإسلاميَّة، ص٢٥٦.

١١- ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب ، ج١، ص٥٤.

١٢- أبو الخيل، الأندلس في الرُّبع الأخير من القرن الثَّالث الهجري، ص٥٤.

١٣- تمتدُّ من منابع نهر إيبرو *Ebro* حتَّى نهر دُويرة، وضمَّت العديد من الحصون والقلاع المسيحيَّة. أبو مصطفى، دراسات أندلسيَّة في التَّاريخ والحضارة، ، ص١١٠.

١٤- بروفنسال، ص٢٥٦.

١٥- للاطِّلاع على أبرز حملاته؛ انظر:

Conde, *A History of the Dominion of the Arabs in Spain*, V. I, p: (318-319); Cotarelo, *Historia Critica y Documentada de la Vida y Acciones de Alfonso III EL Magno*, p: (279-280); Quadrado, *Asturias y Leon, Establecimiento tipográfico*, p: (131-135).

١٦- المدينة البيضاء، عاصمة الثَّغر الأعلى في شمال شرق الأندلس، وتقع على الضِّفَّة اليمنى لنهر إيبرو، وتتَّصل أعمالُها بأعمال تُطيلة، وتحيط بها البساتين. الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٢١٢؛ الحميري، الرَّوض المعطار في خبر الأقطار، ص٣١٧.

١٧- ينحدرون من أصلٍ نصرانيٍّ، من نسل قومِس المناطق الشَّماليَّة قَسيّ القوطي *Count Casius*، الَّذي أسلم وانتظم نسلُه في جُملة المضريّين. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٤٦٨.

١٨-على نهر التّاج، يتَّصل عملُها بعمل وادي الحجارة. الحموي، ج٤، ص(٣٩-٤٠).

١٩- أحد فروع نهر التّاج المارّ جنوب غرب طليطلة. حسين، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة الأمويَّة (١٣٨-٣٢٠هـ/٧٥٦-٩٣٢م)، ص٦٣. وقعت على ضفافه معركة بين جيش الأمير محمد بن عبدالرحمن الأوسط وجيش من قوات مملكة جليقية ومولدي طليطلة عام ٢٤٠هـ/٨٥٤م، ودارت الدائرة فيها على الجليقيين وحلفائهم. للاطلاع على التفاصيل؛ انظر: ابن عذاري، ج٢، ص(٩٤-٩٥).

٢٠- ينحدر من أصولٍ قوطيَّة جُليقيَّة، استقرَّت عائلته في مدينة ماردة منذ أمدٍ طويل، قُتل أبوه عام ٢١٣هـ/٨٢٨م على يد بعض أبنائها حينما كان عاملاً للدَّولة عليها. ثار ابنُه عبد الرَّحمن في منطقة الغرب الأندلسيّ انطلاقاً من ماردة وبطليوس عام ٢٥٤هـ/٦٦٨م وتحالف مع المسيحيّين. ابن القوطيَّة، ص١٠٠؛ سالم، سحر، تاريخ بطليوس الإسلاميَّة، ج١، ص٢٤٣. وعن جهود المنذر في محاربة ثورات المولَّدين في عهد أبيه؛ انظر: العذري، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع

الأخبار وتنويع الآثار، ص(٣٢-٣٥)؛ ابن حيَّان، ص(٢٩٦-٢٩٨)، (٣٢١-٣٢٢)، ٣٤١، (٣٤٨-٣٥٦)، (٣٦١-٣٧٠)؛ ابن عذاري، ج٢، ص(٩٤-٩٦)، (١٠٢-١٠٦)، ١١٣؛ انظر أيضاً:

Perez de Urbel, *Historia del Condado de Castilla, Consejo Superior de Investigaciones Científicas*, I, p: 182; Cotarelo, p: 66, (277-283).

٢١- يقع على بعد ٤٠كم شمال شرق جبال رُندة، وفي أعلاه حصن بُني على صخرة ذات ينابيع، وله قرى كثيرة وأشجار ومياه. الحموي، ج١، ص٣٣٣؛ الحميري، ص٧٩.

٢٢- ابن القوطيَّة، ص(١٠٣-١٠٤).

٢٣- ابن عذاري، ج٢، ص١٠٤، ١٠٦.

٢٤- حتاملة، الأندلس التَّاريخ والحضارة والمحنة، ص٢٨١.

٢٥- ابن عذاري، ج٢، ص(١٠٥-١٠٦).

٢٦- ابن سعيد، ج١، ص٥٣؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص٣٥٠.

٢٧- ابن القوطية، ص١٠١.

28-Lafuente, *Historia General de Espana*, III, p: 331; Conde, I, p: 320.

٢٩- الماوردي، الأحكام السُّلطانيَّة والولايات الدينيَّة، ص١٢.

٣٠- عبد الله بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الأوسط: وُلد عام ٢٣٠هـ/٨٤٥م، ويكنَّى أبا محمَّد، أُمُّه أُمُّ ولد اسمُها عشار، خلَف أخاه المنذرَ في الحُكم عام ٢٧٥هـ/٨٨٨م، وفي أيَّامه امتلأت الأندلس بالفتن، ومات عام ٣٠٠هـ/٩١٣م. الضبِّي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، ج١، ص١٦.

٣١- ابن حزم، رسائل، ج٢، ص٦٢.

٣٢- ابن عذاري، ج٢، ص١٢٠.

٣٣- مجهول، تاريخ الأندلس، ص١٩٥.

٣٤-ابن الأبَّار، ج١، ص١٣٨.

٣٥- النُّويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٣، ص(٢٢٩-٢٣٠).

٣٦- ابن عذاري، ج٢، ص١١٣.

37- Cotarelo, p: 320.

٣٨-ابن عذاري، ج٢، ص١١٣.

٣٩- ابن الأبَّار، ج١، ص١٣٨.

٤٠- انظر عنها: الخلف، نُظم حكم الأمويّين ورسومهم في الأندلس، ج١، ص(١٣٤-١٤٠).

٤١- مجهول، تاريخ، ص١٩٥.

٤٢- ابن الأبّار، ج١، ص١٣٧.

٤٣- الخشني، قضاة قرطبة وعلماء أفريقيَّة، ص١١١.

٤٥- ابن الأبّار، ج١، ص١٣٧. جيَّان: كورة واسعة بالأندلس، تتصل بكورة إلبيرة وتدمير وطليطلة، وبينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً. الحموي، ج٢، ص١٩٥.

٤٦- ابن الخطيب، أعمال، ص٢٢، ٢٤.

47-Conde, I, p: 324.

٤٨- ابن القوطيَّة، ص٨٦.

٤٩-ابن سعيد، ج٢، ص٩٥.

٥٠- ابن الأبّار، ج١، ص١٣٧.

٥١- العذري، ص٣٣.

٥٢- ابن القوطيَّة، ص١١٣.

٥٣- ابن عذاري، ج٢، ص١٠٨.

٥٤-ابن الأبّار، ج١، ص١٣٨، ١٤٠.

٥٥- ابن عذاري، ج٢، ص١١٥؛ ابن الخطيب، أعمال، ص٢٤.

٥٦- ابن الأبّار، ج١، ص(١٣٩-١٤٠).

٥٧- المصدر نفسه، ج١، ص١٣٨؛ مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، ص١٣٢.

٥٨- ابن عذاري، ج٢، ص١١٥.

59-Conde, I, p: 328.

٦٠-ابن الأبّار، ج١، ص١٣٩.

61-Conde, I, p: 328.

٦٢- المدينة الحمراء، غربيّ إشبيلية، في الغرب الأندلسي، وبها ثلاث عيون. الحميري، ص٥٠٧.

٦٣-ابن الأبّار، ج١، ص١٣٩.

٦٤-ابن سعيد، ج١، ص٥٣.

65-Conde, I, p: 329.

٦٦- تعدَّدت السُّجون في قرطبة، وأشهرُها سجن الدُّويرة، ودار النَّقيقة، والمُطبَق المعروف أيضاً بالعامريَّة، وفيه حُبِس هاشم. سالم، السَّيد، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج١، ص٢١٩.

٦٧- ابن الأبَّار، ج١، ص١٣٩.

٦٨- من أبرز رجال دولة الأمير محمَّد، ولّي خطَّتي الوزارة والمدينة، وعُدَّ من كبار القادة العسكريّين، وكان كاتباً أديباً مرسِّلاً بليغاً، واختصَّ بصداقة هاشم، وخاطبه في سجنه دون سائر الوزراء. ابن الأبّار، ج٢، ص٣٧٤.

٦٩- ابن الأبَّار، ج١، ص(١٤٠-١٤١).

٧٠-ابن عذاري، ج٢، ص١١٦.

٧١- ابن سعيد، ج١، ص٥٣.

٧٢- ابن عذاري، ج٢، ص١١٥.

٧٣- ابن الأبَّار، ج١، ص١٤٠.

74-Conde, I, p: 329.

٧٥- ابن القوطيَّة، ص١١٤.

٧٦- ابن سعيد، ج١، ص٥٣.

٧٧-ابن عذاري، ج٢، ص١١٣.

٧٨- المسيحيُّون الَّذين ظلُّوا في مدنهم وخضعوا للحكم الإسلامي، وتُطلق عليهم المصادر الإسلاميَّة العجم، وأهل الذمَّة، والمعاهدين، وكانوا يدفعون الجزية، ولهم كنائسُهم وقضاتُهم ورئيسٌ لهم يُعرف بالقومِس. نعنعي، تاريخ الدَّولة الأمويَّة في الأندلس، ص٢٢٦؛ سالم، تاريخ، ص١٣٠.

٧٩- ابن عبد ربّه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٣٧.

٨٠- من أعمال مدينة ماردة، بينها وبين قرطبة ستَّة أيَّام غرباً. الحموي، ج٢، ص٢٢.

٨١- ابن عذاري، ج٢، ص١١٥.

٨٢- ملك أستورياس، وابن أردونيو الأول ***Ordono I***، تولَّى الحكم عام ٨٦٦م/٢٥٢هـ، وتعرَّض لمؤامرات وثورات داخليَّة، فتغلَّب عليها بمساعدة الأشراف القوط، وتوفّي عام ٩١٠م/٢٩٧هـ. عنان، ج١، ص(٣٥٨-٣٥٩).

83-Cotarelo, p: 320.

٨٤- ابن موسى الثَّاني بن فرتون بن قَسيّ، من أشهر زعماء الثَّغر الأعلى الأندلسيّ، وكان يتردَّد في سياسته ما بين الولاء للدَّولة والتمرُّد عليها، وله وقائع عديدة مع المسيحيِّين، وقُتل على يد جيوش الأمير عبد الله بالقُرب من سرقسطة. الزركلي، الأعلام، ج٧، ص١٥.

٨٥- ابن عذاري، ج٢، ص١١٥.

٨٦- العبَّادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٦٩.

٨٧-أبو الخيل، ص٦٢.

٨٨- حتاملة، ص٢٩١.

٨٩- على نهر شنيل، بينها وبين قرطبة عشرة فراسخ. الحموي، ج١، ص١٧٤.

٩٠- جنوب غرب لوشة، بينها وبين قرطبة عشرون فرسخاً. الحموي، ج١، ص١٥٢.

٩١- شمال شرق جبل طارق، وسورها على البحر. الحموي، ج٥، ص٤٣.

٩٢- شمال شرق بُبشتر في كورة إلبيرة، على بعد خمسين ميلاً جنوب شرق قرطبة. الحموي، ج١، ص٣٢٦.

٩٣- في كورة قَبرة، يمتاز بعلوِّه الشَّاهق وبرودته وغناه بالأشجار. الحموي، ج٣، ص٣٧٧.

٩٤- مدينة وكورة كبيرة متَّصلة بأراضي قَبرة، وبينها وبين قرطبة تسعون ميلاً. الحموي، ج١، ص٢٤٤.

٩٥- ابن عذاري، ج٢، ص(١١٤-١١٥).

٩٦- من رجال القصر المقرَّبين للأمير محمَّد والأمير المنذر من بعده. عهد إليه الأوَّلُ بالعديد من المهام الداخليَّة، فأدّاها بنجاح، وصار من المتنفِّذين ومن أهل الحظْوة في القصر الأميريّ أيَّام المنذر. ابن القوطيَّة، ص٨٧، (٩٦-٩٧)، ١١٠؛ الخشني، ص١٣٢.

٩٧- ابن عذاري، ج٢، ص١١٥.

٩٨- عدنانيُّون، ينتسبون إلى بكرٍ بن وائل، وهم بيتٌ له نباهة. ابن حزم، جمهرة، ص٣٠٢.

٩٩- ابن عذاري، ج٢، ص(١١٦-١١٧).

١٠٠- المصدر نفسه، ص١١٧.

١٠١- من قادة الجيش المُختارين بعناية، ممَّن يمتلكون خبرة كبيرة في القتال، ولهم اختصاصات متعدِّدة، والعريف في العادة مسؤولٌ عن مائة فارس، وفي عهد المنذر كان كلُّ عريفٍ مسؤولاً عن خمسة عشر فارس. الخلف، ج٢، ص٥٣١.

١٠٢- ابن عبد ربِّه، العقد، ج٥، ص٢٣٨؛ ابن الخطيب، أعمال، ص٣١.

١٠٣- ابن عذاري، ج٢، ص١١٨.

١٠٤- مجهول، تاريخ، ص١٩٦.

١٠٥- ابن عذاري، ج٢، ص١١٩.

١٠٦- ابن عبد ربّه، العقد، ج٥، ص٢٣٧؛ مجهول، أخبار، ص١٣٢؛ النُّويري، ج٢٣، ص٢٣١.

١٠٧- ابن عذاري، ج٢، ص١١٤، ١١٩؛ مجهول، تاريخ، ص١٩٦.

١٠٨- ابن الأثير، ج٦، ص٣٥٧.

109-Cotarelo, p. 322.

١١٠- ابن عبد ربه، العقد، ج٥، ص٢٣٧؛ مجهول، أخبار، ص١٣٢.

١١١-ابن الأثير، ج٦، ص٣٥٧؛ ابن عذاري، ج٢، ص١١٤؛ مجهول، تاريخ، ص١٩٦.

١١٢-ابن القوطيَّة، ص١١٤.

١١٣- بروفنسال، ص٢٤٩.

١١٤-مجهول، أخبار، ص١٣٣.

١١٥- دوزي، المسلمون في الأندلس، ج١، ص١٤٨.

١١٦-ابن عذاري، ج٢، ص١١٩.

١١٧- بروفنسال، ص٢٤٩.

١١٨- دوزي، ج١، ص١٤٨.

١١٩- ابن عذاري، ج٢، ص١٢١.

١٢٠- ابن عبد ربّه، العقد، ج٥، ص٢٣٧؛ ابن القوطيَّة، ص١١٣؛ ابن عذاري، ج٢، ص١٢٠؛ مجهول، تاريخ، ص(١٩٤-١٩٥)؛ ابن الخطيب، أعمال، ص(٢٣-٢٤)؛ المقري، نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب ج١، ص٣٥٢.

١٢١- ابن سعيد، ج١، ص(٥٣-٥٤).

١٢٢- سالم، قرطبة، ج٢، ص(٩٣-٩٤).

١٢٣- المقري، ج٣، ص(٥٧٤-٥٧٨).

١٢٤- ابن عبد ربّه، العقد، ج٥، ص٢٣٨.

١٢٥- ابن القوطيَّة، ص١١٤.

١٢٦- مجهول، تاريخ، ص١٩٦، ١٩٨.

١٢٧- ابن الخطيب، أعمال، ص٢٥.

١٢٨- ابن حزم، رسائل، ج٢، ص١٠٤؛ انظر أيضاً: ابن الخطيب، أعمال، ص٢٦.

١٢٩- ابن الخطيب، أعمال، ص٢٦.

١٣٠- ابن سعيد، ج١، ص٥٤.

١٣١- بروفنسال، ص٢٦٢.

١٣٢- الخطيب، أعمال، ص٢٦؛ حسن، تاريخ الإسلام السِّياسي والدِّيني والثَّقافي والاجتماعي، ج٣، ص١٧٧.

١٣٣- مؤنس، ص٣٥٠.

١٣٤-العذري، ص٦٥، ١١٣.

١٣٥- ابن الخطيب، أعمال، ص٢٧.

١٣٦- العبادي، ص١٤٦.

١٣٧- هيكل، الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص٤١.

١٣٨- ابن القوطيَّة، ص١١٣؛ ابن الأبَّار، ج١، ص١٣٧.

١٣٩- ابن عذاري، ج٢، ص١٦؛ ابن الخطيب، أعمال، ص٢٤.

١٤٠- مجهول، تاريخ، ص١٩٤.

١٤١- عنان، ج١، ص٣١٨.

١٤٢-ابن عذاري، ج٢، ص١١٣.

١٤٣- ابن القوطيَّة، ص١١٣؛ ابن حيَّان، ص١٨٤. أبو غالب: وُلد عام ١٨٤هـ/٧٩٦م، وعُدَّ من أهمِّ وزراء الأمير محمَّد، وكان يُدنيه من مجلسه ويحترمه، ثم ما لبث أن أقصاه، ثمَّ توسَّل للأمير، فرقَّ له قلبه وأعاده إلى الوزارة. وتزوَّج من أمِّ وليد بنت خلف بن رومان النَّصرانية، فجاء من نسلها الوزير الكاتب عيسى بن فطيس، وكانت وفاته في جمادى الآخرة ٢٨٣هـ/يوليو ٨٩٦م، عن تسع وتسعين سنة. ابن حيَّان، ص(١٧٩-١٨٢)؛ ابن الأبَّار، ج١، ص١٤٤.

١٤٤- ابن الأبَّار، ج٢، ص٣٧٥.

١٤٥- ابن القوطيَّة، ص١١٣؛ ابن الأبَّار، ج٢، ص٣٧٥.

١٤٦- ابن الأبَّار، ج٢، ص(٣٧٣-٣٧٤).

١٤٧- بناها أيّوب بن حبيب اللَّخمي عام ٩٧هـ/٧١٦م بالقرب من مدينة سالم، وتمتاز بحصانتها وغناها بالأشجار. الحميري: ٤٦٩.

١٤٧- من عمل قلعة أيّوب، على بعد ثمانية عشر ميلاً منها، وتبعد عن سرقسطة خمسون ميلاً. الحميري، ص٢٣٥.

١٤٨- العذري، ص٥٣.

١٤٩- ابن الأبّار، ج٢، ص٣٧٧، ٣٧٩.

١٥٠- حشم الرجل: عياله وقرابته، والحُشْمَة: القرابة، والحُشُم: الأتباع، مماليكَ كانوا أو أحراراً. ابن منظور، مادَّة: حشم. وكان للحشم مسؤولٌ يتولَّى الإشراف عليهم باسم صاحب الحشم، برُتبة وزير، ولهم مهام عسكريَّة جليلة في السِّلم والحرب. الخلف، ج٢، ص(٤٩٨-٤٩٩).

١٥١- ابن عذاري، ج٢، ص١٢٠.

١٥٢- ابن القوطيَّة، ص (١٢٣-١٢٤)؛ أبو مصطفى، ص٥٦، (٦٣-٦٤).

١٥٣- ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج٤، ص١٦٧.

١٥٤- المقري، ج١، ص٣٥٢.

١٥٥- الخلف، ج١، ص٢٠١.

١٥٦- الخلف، ج٢، ص٦٣٤.

١٥٧- المقري، ج٢، ص(٥٠-٥١).

١٥٨- الشَّكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ص٩٧.

١٥٩- يكنَّى أبا عبد الرَّحمن، وُلد بقرطبة عام ٢٠١هـ/٨١٦م، ونشأ فيها وتعلَّم، ثم رحل إلى المشرق ولقي جماعة من أئمَّة المحدِّثين، ثمَّ صار من أكبر محدِّثي الأندلس ورُواتها، وأنكر عليه بعضُ أصحابه ما أدخله من كتب الاختلاف وغرائب الحديث. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، ج١، ص(١٤٣-١٤٥).

١٦٠- الخشني، ص١٩؛ النَّباهي، المرقبة العليا فيمن يستحقُّ القضاء والفتيا، ص(١٨-١٩).

١٦١- ابن عذاري، ج٢، ص١١٣.

١٦٢- الخشني، ص(١٧-١٨).

١٦٣- انظر أخباره في القضاء زمن الأمير محمَّد: الخشني، ص(١٠٧-١٢٨).

١٦٤-ابن القوطيَّة، ص١١٣؛ الخشني، ص(١٢٩-١٣٠).

١٦٥- الخشني، ص١٣٠.

١٦٦- الخلف، ج٢، ص٧٢٤.

١٦٧- الخشني، ص١٣٠.

١٦٨- فقيهٌ أثيرٌ لدى أمراء بني أمية، يشاوروه ويأخذون برأيه، تولَّى القضاء للمرَّة الأولى عام ٢٩١هـ/٩٠٤م في عهد الأمير عبد الله بن محمَّد، وكان أكمل النَّاس أدباً وعلماً وخلُقاً. الخشني، ص(١٤٨-١٤٩).

١٦٩- الخشني، ص١٣١.

١٧٠- المصدر نفسُه، ص١٢٩، ١٣٢.

١٧١- المصدر نفسُه، ص١٣٣.

١٧٢- المصدر نفسُه، ص١٣١؛ ابن الفرضي، ج١، ص٢٨٧.

١٧٣- من أعيان مشيخة الفقهاء، عمل في الإفتاء، وعُرف عنه اتِّباع الهوى في الفتوى. الخلف، ج٢، ص٨٢٠، ٨٣٢.

١٧٤- الخشني، ص١٣٢.

١٧٥- الخلف، ج٢، ص٧٠٠.

١٧٦- الخشني، ص١٣٣.

١٧٧- ابن حيان، ص(٢٠٥-٢٠٦).

١٧٨- ابن عذاري، ج٢، ص٩٨.

١٧٩- المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣٠؛ سالم: تاريخ، ص٣٨٩؛ انظر أيضاً:

Ruggles, *Islamic Art and Visual Culture*, p: 113.

١٨٠- ابن عذاري، ج٢، ص٢٣٠؛ المقري، ج١، ص٥٦١؛ (Ruggles, p: 113)

١٨١- ابن عذاري، ج٢، ص٢٣٠؛ سالم: تاريخ، ص٣٨٩؛ انظر أيضاً:

Dodds, *Al-Andalus, The Arts of Islamic spain*, p: 16.

١٨٢- سالم: تاريخ، ص٣٨٩.

١٨٣- ابن عذاري، ج٢، ص٢٣٠.

١٨٤-سالم، قرطبة، ج١، ص٣٣٢.

١٨٥- الخلف، ج٢، ص٦٥٠.

١٨٦- ابن عبد الرَّحمن النَّاصر، يكنَّى أبا العاص، أُمُّه أمُّ ولدٍ اسمُها مرجان، تولَّى الحكمَ وعمرُه سبعة وأربعون عاماً، كان حسنَ السِّيرة محبَّاً للعلوم، جاهد الممالك المسيحيَّة والمتمرّدين. الضبّي، ص١٨، ٢١.

١٨٧- ابن عذاري، ج٢، ص٢٣٦.

١٨٨- سالم، قرطبة، ج١، ص٣٣١.

١٨٩-ابن القوطيَّة، ص١١٣.

١٩٠- ابن حيَّان، ص٢٦٩. محمَّد بن موسى: والد المؤرخ أبي بكر أحمد الرَّازي(ت. ٣٤٤هـ/٩٥٥م) الَّذي لقِّب بالتَّاريخيّ لكثرة اشتغاله بالتَّاريخ. ألَّف كتاباً في أخبار ملوك الأندلس، وكتاباً في الأنساب وغيرها. هيكل، ص١٨٧.

١٩١- المقري، ج٣، ص١١١.

١٩١-ابن حيَّان، ص٢٦٧، ٢٦٩.

١٩٢- ابن الأبَّار، ج١، ص١٤٤، انظر شيئاً من شِعره في الصَّفحة نفسها.

١٩٣- وزَّاد، أبو مروان بن حيَّان ومنهجه التَّاريخي من خلال كتابه المقتبس، ص٣.

١٩٤- القفطي، إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، ج٣، ص٢١٦.

١٩٥- عبَّاس، تاريخ الأدب الأندلسي، ص٨٢.

١٩٦- الشَّكعة، ص٧٥.

١٩٧- ابن الأثير، ج٦، ص٣٥٧؛ ابن الأبَّار، ج٢، ص٣٦٧؛ ابن عذاري، ج٢، ص١٢٠؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٣٠٩.

١٩٨- ابن الأبَّار، ج١، ص١٢٩.

١٩٩- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج٤، ص(٢٧٥-٢٧٧)؛ هيكل، ص(١٦٦-١٦٧).

٢٠٠- هيكل، ص١٦٩.

٢٠١- ابن خلِّكان، وفيات الأَعيان وأَنباء أَبناء الزَّمان، ج١، ص١١٠.

٢٠٢- ابن الفرضي، ج١، ص٨٢.

٢٠٣- عبَّاس، ص١٧٠.

٢٠٤- ابن خلِّكان، ج١، ص١١١.

٢٠٥- ابن عبد ربّه، ديوان ابن عبد ربّه، ص٩٤.

٢٠٦-الوزير المغربي، أدب الخواص، ص٣١.

٢٠٧- ابن عبد ربه، الديوان، ص٧.

٢٠٨-ابن عذاري، ج٢، ص١٢٠؛ ابن الخطيب، أعمال، ص٢٣.

٢٠٩- الخشني، ص١٤٩؛ ابن عذاري، ج٢، ص١١٩.

٢١٠- ابن الجوْزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، ج٨، ص٢٨٥.

المصادر العربيّة:

* ابن الأبّار، محمَّد بن عبد الله(ت. ٦٥٨هـ/١٢٦٠م): الحلَّة السَّيراء، جزءان، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

* ابن الأثير، علي بن محمَّد(ت. ٦٣٠هـ/١٢٣٣م): الكامل في التَّاريخ، ١١جزء، تحقيق: عبد الله القاضي، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٧م.

* ابن الجوْزي، أبو الفرج، عبد الرَّحمن(ت. ٥٩٧هـ/١٢٠١م): المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٥م.

* ابن حزم، علي بن سعيد(ت. ٤٥٦هـ/١٠٦٤م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

- رسائل ابن حزم ، تحقيق: إحسان عبَّاس، ٤أجزاء، ط٢، المؤسَّسة العربيَّة للدِّراسات والنَّشر، بيروت، ١٩٨٧م.

* الحموي، ياقوت(ت. ٦٢٦هـ/١٢٢٩م): معجم البلدان، ٥أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

* الحميري، محمَّد بن عبد المنعم(ت. ٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الرَّوض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عبَّاس، (د.ط)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م.

* ابن حيَّان، حيَّان بن خلف القرطبي(ت. ٤٦٩هـ/١٠٧٦م): المقتبس من أنباء أهل الأندلس، تحقيق: محمود مكّي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٧٣م.

* الخشني، محمَّد بن حارث(ت. ٣٦٦هـ/٩٧٦م): قضاة قرطبة وعلماء أفريقيَّة، تحقيق: عزَّت العطَّار الحسني، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٤م.

* ابن الخطيب، لسان الدِّين، محمَّد بن عبد الله(ت. ٧٧٦هـ/١٣٧٤م): أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٢، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، ٤أجزاء، تحقيق: محمَّد عبد الله عنان، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٤م.

* ابن خلدون، عبد الرَّحمن بن محمَّد(ت. ٨٠٨هـ/١٤٠٦م): تاريخ ابن خلدون، ٧أجزاء، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكَّار، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.

* ابن خلِّكان، شمس الدين، أَحمد(ت. ٦٨١هـ/١٢٨٢م): وفيات الأَعيان وأَنباء أَبناء الزَّمان، ٧أَجزاء، تحقيق: إِحسان عبَّاس، (د. ط)، دار صادر، بيروت، (د. ت).

* ابن سعيد، علي بن موسى المغربي(ت. ٦٨٥هـ/١٢٨٦م): المغرب في حلى المغرب، جزءان، تحقيق: شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف، القاهرة، (د. ت).

* الضبِّي، أحمد بن يحيى(ت. ٥٩٩هـ/١٢٠٣م): بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، جزءان، تحقيق، إبراهيم الأبياري، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة؛ دار الكتاب اللُّبناني، بيروت، ١٩٨٩م.

* ابن عبد ربّه، أحمد(ت. ٣٢٨هـ/٩٤٠م): العقد الفريد، ٩أجزاء، تحقيق: مفيد قميحة، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٨٣.

- ديوان ابن عبد ربّه، تحقيق محمَّد رضوان الدَّايه، ط١، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، ١٩٧٩م.

* ابن عذاري المراكشي، محمَّد بن محمَّد(ت. ٦٩٥هـ/١٢٩٥م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، جزءان، تحقيق: ج. كولان؛ ليفي بروفنسال، ط٣، دار الثَّقافة، بيروت، ١٩٨٣م.

* العذري، أحمد بن عمر(ت. ٤٧٨هـ/١٠٨٥م): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، (د. ط)، معهد الدِّراسات الإسلاميّة، مدريد، (د. ت).

* ابن الفرضي، عبد الله بن محمَّد(ت. ٤٠٣هـ/١٠١٢م): تاريخ علماء الأندلس، جزءان، تحقيق: بشَّار معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، تونس، ٢٠٠٨م.

* القفطي، علي بن يوسف(ت. ٦٢٤هـ/١٢٢٧م): إنباه الرُّواة على أنباه النُّحاة، ٤أجزاء، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار الفكر العربي، القاهرة؛ مؤسَّسة الكتب الثَّقافيَّة، بيروت، ١٩٨٦م.

* ابن القوطيَّة، محمَّد بن عمر(ت. ٣٦٧هـ/٩٧٧م): تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة؛ دار الكتاب اللُّبناني، بيروت، ١٩٨٩م.

* ابن كثير، إسماعيل بن عمر(ت. ٧٧٤هـ/١٣٧٢م): البداية والنهاية، ج١٠، تحقيق: مأمون محمَّد سعيد الصَّاغرجي، ط٢، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ٢٠١٠م.

* الماوردي، علي بن محمَّد(ت. ٤٥٠هـ/١٠٥٨م): الأَحكام السُّلطانيَّة والولايات الدينيَّة، تحقيق: أَحمد مبارك البغدادي، ط١، مكتبة ابن قتيبة، الكويت، ١٩٨٩م.

* مجهول: تاريخ الأندلس، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠٠٧م.

* مجهول: أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، القاهرة؛ دار الكتاب اللُّبناني، بيروت، ١٩٨٩م.

* المقري، شهاب الدين، أحمد(ت. ١٠٤٠هـ/١٦٣١م): نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب، ٨أجزاء، تحقيق: إحسان عبَّاس، (د.ط)، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م.

* ابن منظور، محمَّد(ت. ٧١١هـ/١٣١١م): لسان العرب، ط. دار صادر، بيروت، (د. ت).

* النَّباهي، أبو الحسن، بن عبد الله(ت. ٧٩٢هـ/١٣٩٠م): المرقبة العليا فيمن يستحقُّ القضاء والفتيا، تحقيق: لجنة إحياء التُّراث، ط٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣م.

* النُّويري، أحمد بن عبد الوهاب(ت. ٧٣٣هـ/١٣٣٣م): نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٢جزءاً، تحقيق: محمَّد جابر، (د. ط)، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤م.

* الوزير المغربي، الحسين بن علي(ت. ٤١٨هـ/١٠٢٧م): أدب الخواص، (د. ط)، دار اليمامة للبحث والتَّرجمة والنَّشر، الرِّياض، ١٩٨٠م.

المراجع العربية والمعربة

* بروفنسال، ليفي: تاريخ إسبانيا الإسلاميَّة، ط٣، المجلس الأعلى للثَّقافة، مدريد، ٢٠٠٠م.

* حتاملة، محمَّد عبده: الأندلس التَّاريخ والحضارة والمحنة، ط١، مطابع الدُّستور، عمَّان، ٢٠٠٠م.

* حسن، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السِّياسي والدِّيني والثَّقافي والاجتماعي، ٤أجزاء، ط١٤، دار الجيل، بيروت؛ مكتبة النَّهضة المصريَّة، القاهرة، ١٩٩٦م.

* حسين، حمدي عبدالمنعم: أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة الأمويَّة (١٣٨-٣٢٠هـ/٧٥٦-٩٣٢م)، (د. ط)، مركز الإسكندريَّة للكتاب، الإسكندريَّة، ١٩٩٧م.

* الخلف، سالم بن عبد الله: نُظم حكم الأمويّين ورسومهم في الأندلس، جزءان، ط١، الجامعة الإسلاميَّة، المدينة المنوَّرة، ٢٠٠٣م.

* أبو الخيل، محمَّد: الأندلس في الرُّبع الأخير من القرن الثَّالث الهجري، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز، الرِّياض، ٢٠٠٢م.

* سالم، السَّيد عبد العزيز: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، (د. ط)، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، ١٩٩٩م.

* سالم، سحر السَّيد: تاريخ بطليوس الإسلاميَّة، جزءان، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، ١٩٩١م.

* دوزي، رينهارت: المسلمون في الأندلس، ٣أجزاء، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

* الزركلي، خير الدين: الأعلام، ٨أجزاء، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م.

- قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، جزءان، (د. ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندريَّة، ١٩٩٧م.

* الشَّكعة، مصطفى: الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣م.

* العبَّادي، أحمد: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، (د. ط)، مؤسَّسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (د. ت).

* عبَّاس، إحسان: تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، ط٢، دار الشُّروق، عمان، ١٩٩٧م.

* عبد الحليم، رجب محمَّد: العلاقات بين الأندلس الإسلاميَّة وإسبانيا النصرانيَّة، (د. ط)، دار الكتاب المصري، القاهرة؛ دار الكتاب اللُّبناني، بيروت، (د. ت).

* عنان، محمَّد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، ٤أجزاء، ط٤، القاهرة، ١٩٩٧م.

* الفقي، عصام الدين: تاريخ المغرب والأندلس، (د. ط)، مكتبة نهضة الشَّرق، القاهرة، (د. ت).

* أبو مصطفى، كمال: دراسات أندلسيَّة في التَّاريخ والحضارة، (د. ط)، الإسكندريَّة للكتاب، الإسكندريَّة، ١٩٩٧م.

* مؤنس، حسين: معالم تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، مكتبة الأسرة، (د.م)، ٢٠٠٤م.

* نعنعي، عبد المجيد: تاريخ الدَّولة الأمويَّة في الأندلس، (د. ط)، دار النَّهضة، بيروت، (د. ت).

* هيكل، أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، (د. ط)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.

* ورَّاد، طارق: أبو مروان بن حيَّان ومنهجه التَّاريخي من خلال كتابه المقتبس، (رسالة ماجستير غير منشورة)، قسم التَّاريخ، كلية العلوم الإنسانيَّة، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.

المراجع الأجنبية

* Chapman, Charles (1930): ***A History of Spain***, Macmillan Company, New York.
* Conde, Jose Antonio (1900): ***A History of the Dominion of the Arabs in Spain***, trans. Jonathan Foster, V. I, Goerge Bell, London.
* Cotarelo, Armando Valledor (1933): ***Historia Critica y Documentada de la Vida y Acciones de Alfonso III EL Magno***, Libreria Genaral de Victoriano Suarez, Madrid.
* Dodds, Jerrilynn. (1992): ***Al-Andalus, The Arts of Islamic spain***, The Metropolitan of Arts, Granada.
* Lafuente, Modesto (1850): ***Historia General de Espana***, III, Madrid.
* Perez de Urbel, Fray Justo (1945): ***Historia del Condado de Castilla, Consejo Superior de Investigaciones Científicas***, Escuela de Estudios Medievales, Madrid.
* Quadrado, Jose (1885): ***Asturias y Leon, Establecimiento tipográfico***, editorial de Daniel Cortezo, Barcelona.
* Ruggles, D. (2011): ***Islamic Art and Visual Culture***, Wily Blackwel, Maldon.